الكتاب الرابع

الخروج من التبعيه

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

بيت الحكمة
للإعلام والنشر والتوزيع
١٠١ شارع القائد/منشية الصدر/القاهرة
مصر (ص.ب ١٣٤١١/٥) شبرا الخيمة
هاتف وفاكس ٢٢٠٣٨٩٩ و ٢٢٠٧١٢٤

فهرس الكتاب

	صفحة
الفصل الأول : المنهج العلمى الإسلامى	٥
الفصل الثانى : التربية	١٧
الفصل الثالث : التعليم	٢٣
الفصل الرابع : الأزهر	٣٥
الفصل الخامس : المرأة	٤٣
الفصل السادس : الطفل المسلم	٥٧
الفصل السابع : الشباب المسلم	٦٩
الفصل الثامن : المجتمع	٧٧
الفصل التاسع : التراث	٨٧
الفصل العاشر : الحضارة	٩٥
الفصل الحادى عشر : إسلامية الفن	١٢١
الفصل الثانى عشر : إسلامية الأدب	١٣١

الفصل الأول

المنهج العلمي الإسلامي

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

كان من أبرز معطيات الإسلام بناء المنهج العلمي الذي عرفته البشرية لأول مرة بعد أن عاشت مناهج مختلفة تقوم على التأمل أو الظن أما الإسلام فقد تقدم بالمنهج العلمي إلى الخطوة الحاسمة : التجريب ، فضلاً عن أنه اعتبر العلم جامعاً لعلم الدنيا والآخرة .

فالمسلمون هم رواد البحث العلمي ، والمنهج التجريبي في البحث هو أصلاً منهج العلماء المسلمين وقد صاغه العلماء المسلمون في وقت كان الظلام يخيم على أوربا .

وقد استقى علماء المسلمين هذا المنهج العلمي من كتاب الله تبارك وتعالى وبنَوا قواعدهم وفق قواعده الأساسية في البرهان ومحاربة الظن وعدم اتباع الهوى أو التقليد الأعمى .

١ - وقد وردت قاعدة محاربة الظن في القرآن (٢٤ مرة) .

إن الظن لايغني عن الحق شيئاً - إن بعض الظن إثم : بمعنى التوهم والتحرص وهما نقيضا العلم واليقين .

فقد دعا الإسلام الناس أن لايبنوا فكرهم وآراءهم على الظنون لأنها لاتؤدي إلى معرفة الحقيقة ومن ثم حارب الظن والتخمين .

٢ - كما دعا إلى محاربة التقليد الأعمى ، التقليد الموروث ، والتقليد كما عند الآخرين : الخروج من التبعية ، وكشف زيفهم في قولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) .

وقد هدم القرآن ذلك المنطق الباطل الذي يحتج به المعاندون للحق والمكابرون : هذا المنطق الذي يعتمد عليه المبتدعة في الأمة الإسلامية اليوم .

٣ - كما دعا إلى عدم اتباع الهوى : (والهوى هو الرغبة الشخصية أو الميل الذاتي الغاشم على غير الحق ، وعلى شهوة نفسية ، هذا الفكر القائم على الرغبات الشخصية والميول النفسية . وحارب الإسلام الهوى ودعا إلى الموضوعية (فلا تتبعوا الهوى) وهكذا دعا الإسلام إلى التعقل والتروي والتدبر وتوخي الحق والصدق وحرم كتمان الحق أو خلطه بالباطل وحارب ثلاثاً :

(اتباع الهوى – والظن – والتقليد الأعمى)

(أفلا يتدبرون القرآن)

(لاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

ومن هنا كان أبرز ما دعا إليه الإسلام : تحرير الفكر من قيوده وقد اعتمد المسلمون في هذا على دور العقل في استنباط الاحكام الشرعية وقد قال معاذ بن جبل لرسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن قاضياً (أجتهد رأي لا الو)[1] وذلك حين لايجد في القرآن والسنة نصاً يحكم به كذلك فقد قرر الإسلام أن على ولي الأمر أن يدبر للمسلمين العلوم والصناعات اللازمة للمسلمين التي يسبب فقدان أي منها حرجاً للمسلمين فإذا لم يفعل ذلك يكون آثماً لأنه يوقع المسلمين في الحرج وأن فرض الكفاية في العلوم المحمودة ، هو كل علم لايستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب (دكتور التفتازاني) .

وقد أظهر الإسلام عدداً من المناهج :

منهج ابن الهيثم الذي سبق منهج بيكون التجريبي ، وماصرح به روجر بيكون من أنه استفاد المنهج التجريبي من المسلمين .

(١) حديث منكر .

ولا ريب بأن القرآن الكريم هو مصدر المنهج العلمي وأن الإسلام هو الذي فتح الباب أمام إنطلاق الفكر في فهم الكون وذلك حين الغى عقائد باطلة كثيرة كتأليه الكواكب وعبادة الأصنام وتعدد الآلهة والإيمان بالدهر والعيلان والتنجيم والكهانة والعرافة ومن ذلك نهى الرسول ﷺ عن الربط بين ظواهر الطبيعة التي تجري على سنة الله تبارك وتعالى وبين أي أسباب وهمية لاتمت إليها بصلة .

(وموقف الرسول ﷺ يوم وفاة ابنه إبراهيم دليل على ذلك)

أما القرآن فقد نبه العقول إلى استخدام أنواع النظر العقلي المختلفة مباشراً أو غير مباشر فهو كما يدعو إلى استنباط نتيجة ثبت صحتها في تعرض الاستدلال على العقائد النظرية (الآيات من آخر سورة يس) نراه يدعونا إلى استخدام المشاهد الحسية واستقرار الجزئيات من عالم الطبيعة ليصل بنا ذلك إلى معرفة القوانين العامة التي تسير هذه الطبيعة بمقتضاها .

وقد أنشأت آية كريمة (فاعتبروا يأولى الأبصار) (قاعدة الاعتبار) الاعتبار هو القياس بنوعيه العقلى والفقهى كما يقول ابن رشد .

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾

و (كيف) في هذه الآيات تعبر عن روح المنهج العلمي الحديث ، ذلك أن العلم في مفهوم علماء مناهج البحث المحدثين هو إجابة عن السؤال (كيف) وليس إجابة عن السؤال لماذا ، فالعلم يعني بيان كيف تتركب

الظاهرة ولايعني البحث عن الغاية منها .

٢ - كذلك ينبه القرآن الكريم إلى أن النظام الكوني له قوانين لاتتبدل وهي ماتصل إليه من خلال الاستقراء العلمي القائم على المشاهدة الحسية وإلى ذلك الإشارة مثل قوله تعالى :

﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ .

٣ - كذلك الاجتماع البشري له قوانين لها نفس الأطر والثبات ويمكن معرفة ذلك بالإستقراء التاريخي إشارة إلى قول الله تبارك وتعالى :

١ - ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ .

٢ - ﴿ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ .

٣ - ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ﴾ (الدكتور التفتازاني) .

وقد قيل في بعض الكتابات العصرية (حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل مثلاً) أنه كتب على الطريقة الحديثة وكان ذلك في ظن البعض أنه منهج غربي ولكن الحقيقة كانت غير ذلك ، لأن المنهج الغربي الذي اعتمد عليه بعض الكتاب المحدثين كان منهجاً إسلامياً أصيلاً .

كان طريقه القرآن وطريقه علماء السلف كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد مصطفى المراغي حيث قال :

أن أول واجب على المكلف معرفة الله وقد جرى الإمام الغزالي على الطريقة نفسها وقد قرر في أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء ثم

فكر وقرر ورتب ووازن وقرب وباعد وعرض الأدلة وهذبها وحللها ثم اهتدى بعد ذلك كله إلى أن الإسلام حق ، وقد فعل هذا ليجافي التقليد وليكون إيمانه إيمان المستيقن المعتمد على الدليل والبرهان ، فطريق التجريد طريق قديم وطريق التجربة والاستقراء طريق قديم ، والتجربة والاستقراء وليدا الملاحظة ، فليس هناك جديد عندنا ولكن هذه الطريقة القديمة بعد أن نسيت في التطبيق العلمي والعملي في الشرق ، وبعد أن أبرزها الغربيون في ثوب ناصع وأفادوا منها في العلم والعمل رجعنا نأخذها منهم ونراها في العلم جديدة .

وقد قاد الإسلام (دين التوحيد والعبادة والعلم والمعرفة) الإنسانية جمعاء إلى الهدى الحق بعد الضلالة .

ولم يخل تاريخ الإسلام بين المشرق والمغرب من أئمة مجتهدين استمدوا حركة الفكر من ينبوع تلك القوة الحيوية فحفظوا رسالة هذا الدين لافرق بينها دين رسالة العلم في مقصد من مقاصده ، والمسلمون هم من رواد البحث العلمي الذي بدأه ؟ كما يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق الإمام الشافعي ورسالته (علم أصول الفقه) .

أما ما يتصل بالفلسفة اليونانية وكل فكر إغريقي فقد رفضه الإسلام منذ اليوم الأول وحاربه وأعاد تصحيح مفاهيم الفكر البشري وأعلن أخطاء بطليموس لأول مرة على ظهر هذا الكوكب وكما أعلن منهج المعرفة ومنهج سنن الحضارات والأمم .

وكل هذا جاء في القرآن الكريم ومنه انبعث أصلاً ومانركز عليه هنا تركيزاً شديداً يحكم أنه قاعدة من قواعد التأصيل الإسلامي أسبقية

العلماء المسلمين إلى المنهج التجريبي فمن الخطأ القول أن فرنسيس بيكون أو معلمه روجر بيكون كان أول من هاجم المنطق الأرسطوطاليسى باعتباره منهجاً صورياً ومنهجاً عقلياً يقوم على فكرة الطبائع والتصورات .

إن العقلية الإسلامية في عصورها الخالصة هاجمت أيضاً المنطق الأرسطوطاليسى ولم توافق عليه ولاعلى اعتباره قانوناً كلياً مسلماً تتفق عليه العقول السليمة ، ووضعت منطقاً استقرائياً تناولت فيه الناحية التجريبية واعتبرت القانون الذي يسير به العقل في بحثه .... ؟

فالمنطق الاسطوطاليسى وإن كان منهج الحضارة والفكر اليوناني قديماً فإنه لم يقبل في المدارس العقلية الحديثة نظراً لقدمه وقصوره عن خواص الفكر ، كذلك فإن الفكر الذي نقل إلى المسلمين من اليونان والإغريق لم يكن صحيح الأصول بل كان في واقع الأمر صورة زائفة دخلت عليها مفاهيم محرفة كانت تهدف إلى خدمة مفاهيم دينية معنية .

وقد بدأت مقاومة علماء المسلمين لمنهج أرسطو منذ بدأت حركة الترجمة - ذلك أن الفكر الإسلامي كان قد تم تشكيله قبل الترجمة على أساس قيم قرآنية من التوحيد والأخلاق والمزج من الوحي والعقل ، ولذا فإنه كان من العسير أن تنصهر في الفلسفة اليونانية أو تنصهر فيه .

ولقد كان القرآن الكريم هو الذي أرشد المسلمين إلى صياغة قواعد العلوم في قوالب دقيقة ووضع مناهج البحث النظرية والتجريبية .

﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾

يقول الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد (وجاء القرآن فاتجه

بالدين منهجاً يمكن لأهل الزمن الذي نزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه فترك الاستدلال على نبوة محمد ﷺ بما عهد الاستدلال به في النبوات القديمة وحصر الدليل في حال النبي ﷺ بنزول الكتاب عليه في بلاغة تعجز البلغاء عن محاكاة فيه وتناول من مفاهيم الألوهية ماأدته إليه لنا أو ما أوجب علينا أن نعلم ولكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء يحاكيه ولكنه ادعى وبرهن وحكى مذهب الغالين وكر عليها بالحجة وخاطب العقل واستنهض الفكر وعرض من حقائق الأشياء واستكشف من أسرار الكون ماينفع الناس أما الغرب فقد أقر بفضل العلوم الإسلامية فقد قال جوستاف لوبون أن (جامعات الغرب لم تجد خلال خمسة قرون مورداً علمياً سوى مؤلفات المسلمين وهم الذين مدوا أوربا مادة وعقلاً وأخلاقاً) .

وقد وضع الإمام ابن القيم تصوراً لمجالات العلوم الإسلامية ، فقال : إن العلم المفروض تعلمه ضربان :

(أولاً) ضرب منه فرض عين لايسمح لمسلم جهله وهو أنوا ع :

١ - علم أصول الإيمان الخمسة

(الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)

٢ - علم شرائع الإسلام ومايخص الشخص مع فعلها ، وعلم احكام المعاشرة والمعاملة بين الشخص وأسرته وفيما بينه دين مجتمعه .

٣ - وهناك ضرب منه فرض كفاية وهو كل ما من شانه أن يقيم حياة الأمة من طب ورياضيات وهندسة وفلاحة وحياكة وحدادة وصناعة وتجارة وعلوم أخرى .

٤ - كذلك فقد احتوى القرآن من المبادئ السامية والمثل العليا ماتصح به النفس البشرية وتتطهر وتبلغ القمة في السمو الروحي كما احتوى من الأصول الكلية مايصلح أمر المسلمين في كل زمان ومكان .

وقد صور بعض الباحثين أصول المنهج الإسلامي للعلوم في ست نقاط .

أولاً : (حرية التفكير)

وقد ربى رسول الله ﷺ الصحابة عليها : هذه السنة الجليلة من شأنها أن تدفع التقليد إلا ماكان أسوة بالرسول الكريم فكان التجديد بمعناه الواسع وكان الارتقاء بالإنسان طابع المسلم قديماً فنشأت المدارس الفقهية في عقد التابعين وكانت مدرسة الحديث بالمدينة ومدرسة الرأى بالعراق .

قال تعالى : ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ .

ثانياً : الانفتاح على الثقافات

مما لاشك فيه أن المسلمين اهتموا بنقل ماعرفوا من الأمم الأخرى من فلسفة وطب وهندسة ورياضيات وغيرها .

قال تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

ثالثاً الأمانة العلمية والنزاهة في بحوث العلم

وقد حث الإسلام على الأمانة بكل أنواعها في جميع الميادين (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) .

فقد عزوا العلم إلى أهله وأخذوا بمبدأ (لا أدري) وأقروا مبدأ (عدم كتمان العلم)

يقول ابن الهيثم في مقدمة كتابه المناظر :

ونجعل غرضنا في جميع مانستقريه ونتصفحه استعمال العدل لااتباع الهوى ونتحرى في سائر مانميزه وننقده طلب الحق لا الميل مع الآراء وليس ينال من الدنيا أجود ولا أشد قربة إلى الله من هذين الأمرين

رابعاً : الملاحظة

إن للملاحظة العلمية سماتها المميزة ، وهي وإن كانت امتداداً للملاحظة العادية إلا أن العلم يعيرها اهتماماً كبيراً ويعتبرها ركناً أساسياً في منهجه العلمي ، فإذا كان الرجل العادي يسترشد بحواسه من أجل ملاحظة الأشياء فإن العلم بدوره يستعين بالأدوات الدقيقة توخياً للضبط وسعياً من أجل الوصول إلى الحقيقة .

يقول جابر بن حيان في كتابه الخواص الكبير :

ويجب أن نعلم أننا نذكر في هذه الكتب خواص مارأيناه فقط دون ماسمعناه ، أو هيئ لنا وقرأناه بعد أن امتحناه وجربناه فما صح عندنا بالملاحظة الحسية أوردناه ، ومابطل رفضناه .

وأيد الحسن بن الهيثم في مقدمة كتابه (المناظر) مبدأ الملاحظة

كمصدر للحقائق العلمية فقال :

(ويبتدئ في البحث باستقراء الموجودات مايخص البصر في حالة الإبصار وماهو ظاهر لايشتبه منه كبقية الأجناس ثم يترقى في البحث والمقاييس على التدريج والتدريب مع انتقاء المقدمات والتحفظ من الغلو في النتائج ونصل بالتدريج واللطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين أ . هـ)

خامساً : قضية العلية (البحث عن العلة)

وكان للإمام الرازي وجابر بن حيان وغيرهم تجاربهم العلمية قبل أن يفطن إلى ذلك (دافيد هيوم) وغيره من علماء الغرب ببضعة قرون وفي هذا المجال أرجع جابر بن حيان الاستدلال الاستقرائي إلى العادة وليس إلى ضرورة الفعلية .

سادسا : التجربة

فطن المسلمون إلى « التجربة » قبل غيرهم بمئات السنين فجاءت تسميتها بالتدريب وتسميتها بالاعتبار ، وكان ابن الهيثم يزاول التجربة العلمية مكملة للملاحظة الحسية ، وكذلك كان الأمر عند البيرونى وغيره .

الفصل الثانى

التربية

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

نحن في حاجة إلى مناهج تربوية تعني بأمرين :

الأول : غرس الإيمان في نفوس الشباب وتزويده بالقيم والمفاهيم الإسلامية الصحيحة وتعريفه بدوره ورسالته في الحياة بإعتباره مؤمناً بأن الإسلام له مهمة أساسية في هذه الحياة الدنيا وهي إقامة مبادئ الحق والعدل والدفاع عن حقوق الإنسان .

الثاني : تحصين الشباب ضد كل فكر منحرف وافد إلى بلاد المسلمين حيث يستخدم الفكر المنحرف الآن أحدث الطرق للترويج للمفاسد ومالم يزود شبابنا المسلم بقدر من القيم والمفاهيم الصحيحة فسوف يكون فريسة لتلك الأفكار المنحرفة والمبادئ المناهضة للدين الحنيف .

نقول هذا وقد تبين للأمة الإسلامية أن هذه الأزمة الخطيرة أنما جاءت نتيجة إهمالها وتقصيرها في اتباع منهج الله تبارك وتعالى وأن الله لم يخلف مع هذه الأمة وعده ولم ينقض عهده حينما قال جل شأنه (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

كذلك فإن سنن الأمم والحضارات التي جرت على كل الأمم لابد أن تجري على هذه الأمة الخاتمة فهي حين أهملت منهج ربها اجتاحتها الأمم وأذلتها وانتزعت منها ثرواتها ومكانتها وأنها حين بعدت عن توجيه القرآن تضافرت عليها المحن وأحاطت بها النكبات وهي ماتزال تتخبط باحثة عن مخرج وهيهات فهي ماتزال غارقة في منهج الربا العالمي وتحاول أن تحل مشاكلها بأسلوب الذين نزعوا عن دين الله كلية فلا مخرج مهما دارت عشر دورات إلا بالعودة مرة أخرى إلى منهج الله تبارك وتعالى ولن يصلح حال هذه الأمة اليوم إلا بما صلح به أولها .

ولعل أخطر الانزلاقات التربوية الخطيرة التي تنزل آثاراً عميقة في المجتمع الإسلامي هو مايسمونه (التبادل الاجتماعي) ولقاء الشباب العالمي حيث يقوم بعض الشباب المسلم غير المحصن بالإيمان واليقين بالسفر إلى بلدان أوربية للإقامة في بيوت مسيحية ووثنية وقد نسى هؤلاء وأهلوهم ومربوهم أن شباب الغرب له هدف يحرص على تطبيقه ويؤمن بأنه مرسل من قبل قيادته الدينية لتحقيق غرض معين في الوقت الذي يرجع فيه الشباب المسلم وقد خاض في وحل شديد ، وغلبته عوامل الانحلال والسلبية فضلاً عن تركه لشعائره لأنه يقيم في بيوت لاتعرف عن الإسلام إلا العداء التام ويرتبط بهذا أنشطة الكشافة والجوالة والرحلات المشتركة حيث يختلط الشباب والفتيات ويتعرى كل منهم أمام الآخر لأن ملابس الحركة تفرض ذلك فضلاً عن أن برامج الأنشطة لاتتضمن صلاة ولاصياماً .

ومن العجيب أن معظم الدراسات الأنسانية والاجتماعية في معاهدنا وجامعاتنا مصدرها غربي وهي مستمدة من التلمود والتوراة كما حدث عن ذلك مؤرخو علم النفس الفرويدي فضلاً عن بروز مفاهيم الفكر التلمودي في فرويد (علم النفس) وفي دور كايم (علم الاجتماع) وفي سارتر (الوجودية) .

وحيث تدرس نظرية دارون (التي عفا عليها الزمن) والفلسفات اليونانية القديمة ورجالها ونظريات نشأة الدين وتطوره وارتقائه دون أن تقرن هذه الدراسات بردود كافية تبين موقف الإسلام منها فضلاً عن دراسة فلسفة أرسطو على نحو يجعل منه إماماً وفي منزلة تفوق منزلة الرسل والأنبياء .

وهكذا فإن الكثير من المواد تدرس من منظور مخالف للإسلام ويمكن القول بأن المناهج التربوية تقوم اليوم على دعامتين :

الأولى : التنكر للدين عموماً على اعتبار أن أمور الدنيا أهم وأن أمور الدين غيبية لاجدوى من الجري وراءها .

ولذلك جاءت التربية دنيوية مادية تهدف إلى إعداد الفرد أو المواطن الصالح ليعيش حياته الدنيا في سلام مع مجتمعه (ولاينظر للإسلام في هذه المناهج إلا أنه دين عبادي لاهوتي قاصر على العبادات والمولد النبوي) .

الثانية : الفصل بين الدين والدنيا على اعتبار أن الدنيا لاينظم أمورها الدين متجاهلين أن الدين ينظم الحياتين معاً (الدنيا والآخرة) .

الثالثة : كتب الفلسفة مليئة بالانحرافات عن عقيدة التوحيد فهي تفصل بعض المذاهب الفلسفية الغربية (النصرانية واليهودية واليونانية والرومانية) مع الإشادة بها بما يحول بين المسلم وبين انتمائه لدينه وعقيدته .

أما المناهج الدينية فقد ظهرت مصحوبة بنوع من التهوين بالمقومات الوطنية الأصيلة لنا وعلى قمتها الدين واللغة ، مصحوبة بتوجيهات الانبهار وفقدان التوازن إزاء الحضارة الغربية ومصحوبة بإشاعة الاستهانة بكل المؤسسات الاجتماعية فضلاً عن انفصال مادة الدين عن العلوم الطبيعية والاجتماعية مما يوحي للطالب بالفصل العلماني بين الدين والدنيا وبين علوم الدين وعلوم الدنيا حيث لانجد أي صلة بين مادة الدين وتلك المواد إلا في حدود الاتصال القائم مع مادة اللغة العربية .

وقد لخص الباحثون التربويون خصائص الفكر التربوي الإسلامي في خمسة عناصر أساسية :

الأصالة - الفاعلية - التكامل - التوازن - الأخلاق

١ - فالأصالة هي أصالته في نظرته الخاصة إلى الإنسان وعلاقاته مع العالم المادي (فالأنسان في الإسلام يختلف عن مذاهب الغرب (الدارونية في أوربا ، الماركسية في الشرق ، الجنس عند فرويد) وهو مستخلف أساساً له وجهة ربانية خالصة .

٢ - أما الإيجابية فهي تعني الفاعلية والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي في بناء الحياة والتعرف على سنن الله تبارك وتعالى في الكون المادي وفي حياة الأنسان .

٣ - الشمولية والتكامل : تعني الإيمان بالجانبين المحسوس والروحي وهو الجانب الذي أغفلته الحضارات المادية .

٤ - التوازن في السلوك بعيداً عن القلق والضياع .

٥ - الأخلاق : إقرار الضوابط الأخلاقية التي تجعل لأعمال الأنسان غاية ربانية وطريق للوصول إلى الله تبارك وتعالى (محمد الصالح عزيز) .

الفصل الثالث

التعليم

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

هو الخنجر الذي طعن به المسلمون في كل المقاتل :

التعليم

١ - مقتل القانون الوضعي بدلاً من الشريعة .

٢ - سيطرة الاقتصاد الغربي بشطريه (الرأسمالي والماركسي) على الاقتصاد الإسلامي .

٣ - سيطرة النظام السياسي الغربي .

٤ - سيطرة مفاهيم القومية والإقليمية والوطنية والعنصرية على مفهوم الوحدة الإسلامية الجامعة .

فإذا نظرنا إلى مناهج الدراسة وجدنا :

أولاً - تقديم النظريات والأيدلوجيات الغربية الصادرة عن المفهوم المادي من ناحية المصادر المسيحية واليهودية والوثنية (يونانية ورومانية) .

ثانياً - هذا التاريخ الإسلامي والعالمي الذي يدرس لأولادنا فيه زيف كثير من حيث طريقة الدراسة التى تشكل للمسلم على كراهية دينه وقومه وعقيدته وأبطاله

ثالثاً - دراسة الفلسفة على هذا النحو الذي يقدم ترمي إلى تحويل عقليات أبنائنا لاكبار شأن الغرب وانتقاص قومنا وتزييف عقيدتهم في التوحيد بإدخال مفاهيم الوثنية والباطنية والفكر المادي .

رابعاً - الدعوة إلى إطفاء نور التاريخ الإسلامي بوضعه تحت مجاهر نظرية التفسير المادي للتاريخ .

خامساً - الحط من شأن التراث الإسلامي .

سادساً - إعلاء العاميات على الفصحى وإبعاد القرآن وفرض

أرسطو وشكسبير .

وأخطر قضايا التعليم وأشدها أثراً في تحويل الشخصية الإسلامية هي « الازدواجية » فإن ازدواجية التعليم في الأمة الإسلامية هي أشد أسباب الصراع الفكري بين المثقفين وأخطر العوائق نحو وحدة الفكر الإسلامي فإنها توزع أبناء الأمة الواحدة بين نوعين من التعلم : الديني (الأزهري) والعام ولابد من توحيد أساس التعليم حتى يزول تأثير هذه الازدواجية على ثقافة وعقول وشخصية أبناء الأمة الواحدة مما ينتج عنه بالضرورة اختلاف وجهة النظر وإنقسامها إلى فريقين مختلفين مما يؤدي إلى الاختلاف في طريقة النظر إلى الأشياء والأفكار وأنماط الحياة ، ولاريب أن ازدياد الفجوة يحول دون تلاقي المسلمين على رأى واحد وهدف واحد ويرجع الخطر إلى دخائل التعليم العام المستمدة من الفكر الأجنبي (بالرغم من كل التغييرات التي حدثت منذ دنلوب إلى الآن) فإن علمانية هذه المناهج وخاصة في العلوم الطبيعية والرياضية ماتزال توجد فجوة عميقة بين المنهج الإسلامي (الجامع بين الدنيا والآخرة ، وهو دين عمارة الدنيا والسعي في الأرض) وبين المنهج الوافد .

ويدخل في هذه الازدواجية خطر التعليم الأجنبى الذي هو أساس المنهج التعليمي العام منذ نقل من مدارس الإرساليات .

نحن نطالب اليوم بأن تكون المؤسسة التعليمية في مصر واحدة أساسها التعليم الإسلامي مع التحرر تماماً من مناهج العلمانية والتعريب وتدريس المواد العلمية والنظرية من المنظور الإسلامي وخاصة في مادة الخلق والعلوم الطبيعة والرياضية (إيماناً بأن الله تبارك وتعالى هو الخالق وليس الطبيعة أو الصدفة) وشريطة ألا يخضع الشباب للمؤسسة العلمانية

الأساسية إيماناً بأن المنهج الإسلامي هو وحده القادر على الجمع بين الأصالة والحداثة والتوفيق بين العقل والنقل .

وكما نواجه خطر الازدواجية بين التعليم الإسلامي والتعليم المفرغ فإننا نواجه خطراً أخر هو توحيد مناهج التعليم بين الرجل والمرأة فكيف تدرس المرأة (ولها مهمتها الخاصة وتركيبها الخاص) نفس علوم الرجل الذي له مهمة مختلفة فلا تعرف شيئاً عن مسئولية المنزل وتربية الطفل ومسئولية الأسرة ولاتتعرف إلى عالمها الخاص بكل مايتصل به من التزامات .

كذلك فإن العلاقة بين التربية وبين التعليم هي العلاقة بين الكل والجزء ، فالتربية هي الإطار الذي تتحرك فيه وسائل التعليم وترسم وجهتها ولما كانت التربية الإسلامية قائمة على بناء الشخصية القادرة على فهم مسئوليتها إزاء المجتمع والأمة والحياة وهي أداة لبناء الإرادة التي هي عماد الكيان الأنساني القادر على حمل المسئولية بالصدق والاستقامة والعدل فإن التربية تعني خلق الوعاء القادر على تلقي التعليم في الإنسان . والمسلم يتعلم ليكون علمه نافعاً لبناء مجتمعه وحياته ولترفيه كيانه النفسي والاجتماعي ، فالعلم النافع هو وحده العلم لأنه هو الذي يقيم كيان الفرد والأسرة والأمة كلها ، وفي ضوء هذا الإيمان يتلقى المسلم العلوم الرياضية الحسابية والطبيعية ويأخذ من أخر معطيات البشرية فيها دون تجرؤ لأنه مطالب بأنه يكون قوياً وقادراً ومتقدماً . ومن العجز أن يكون متخلفاً ومتأخراً وهو في مجال العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومايتعلق بالقانون والتربية ومايتصل بالأخلاق والنفس فإنه يستمد أصول هذه المفاهيم أساساً من منابع ثقافته الإسلامية الأصيلة

التي تشكلت منذ أربعة عشر قرناً ، ذلك لأن هذه العلوم الأنسانية مما لاينقل من وطن إلى وطن ولا من أمة إلى أمة فلكل أمة ثقافتها الخاصة وذاتيتها المتميزة ولها أيضاً طوابعها النفسية والاجتماعية التي شكلت عليها أصول آدابها وثقافتها .

آن الخطر الكبير الذي يجب أن تتخلص منه مطالع القرن الخامس عشر (في مرحلة الصحوة) التحرر من التقليد التربوي والتعليمي للغرب بشقيه فقد أدى هذا الخضوع لأنظمة الغرب في جميع المجالات – وفي المجال التربوي بالذات – إلى فقدان هوية الأمة الإسلامية ، إذ لم يعد له هوية واضحة ، بل تكاد لاتكون أمة واحدة كما كانت في ظل الإسلام بل أصبحت أمماً وشعوباً مختلفة متناحرة ومتحاربة .

لابد أن نعود إلى مفهوم التعليم الإسلامي الأصيل :

وهو تنشئة الأنسان الصالح الذي يعرف مسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقي فيعبد الله تبارك وتعالى حق عبادته في عمارة الأرض وفق شريعتة ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه ومفهوم العبادة في الإسلام يشمل كل نشاط الأنسان ، ويوجه عمله كله خالصاً لله تبارك وتعالى .

(وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

وعلى ذلك فإن عمارة الأرض وتسخير ماأودع الله تبارك وتعالى فيها من ثروات وطاقات ، والتعرف على سنن الله في الكون والعلم بخواص المادة وطرق الاستفادة منها في سبيل خدمة العقيدة ونشر حقائق الإسلام وتحقيق الخير والعدل للناس جميعاً .

ومن هنا كان هدف التعليم في نظر الإسلام هو تنشئة ذلك الأنسان

العابد لله تبارك وتعالى على هذا المعنى الشامل للعبادة فيجب أن يحقق التعليم أمرين :

الأول : معرفة الأنسان بربه ليعبده عبادة صحيحة معتقداً بوحدانيته ،أداء الشعائر عبادةً وتطبيقاً لشريعته والتزاماً لمنهجه .

الثاني : التعرف إلى سنن الله تبارك وتعالى في الكون ليعبده بعمارة الأرض والمشي في مناكبها وتسخير كل ماخلق فيها لحماية العقيدة والتمكين لدينه الحق في الأرض إذعاناً لقوله تعالى

﴿ هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ .

وهكذا تلتقي علوم الشريعة مع علوم الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس والاجتماع مع أنها كلها علوم إسلامية مادامت داخل الإطار الإسلامي ومتفقة مع تصوره ومفهومه ، ملتزمة بأحكامه وتعاليمه وكلها مطلوب بقدر للمسلم العادي ومطلوب على مستوى التخصص لفقهاء الأمة ومجتهديها وعلمائها ، ولاحد ولاقيود على العلم في التصور الإسلامي سواء النظري فيه أو التجريبي أو التطبيقي إلا قيداً واحداً بالغايات والمقاصد من ناحية وبالنتائج الواقعة من ناحية أخرى ، فالعلم في الإسلام عبارة يتقرب بها الأنسان إلى الله تبارك وتعالى وأداة إصلاح في الأرض فلا ينبغي أن تستخدم في إفساد العقيدة والاخلاق كما أنه لايجوز أن يكون أداة ضرر وفساد وبغي وعدوان ومن ثم فكل مايصادم العقيدة الإسلامية أو لايخدم أهدافها فهو مرفوض في المنهج الإسلامي .

وإذا كان كل نظام تعليمي يحمل في طياته فلسفة معينة منبثقة من تصور معين ولايمكن فصل أي نظام تعليمي عن فلسفته المصاحبة له ومن

ثم فإنه لايجوز أن تتخذ فلسفة أو سياسة تعليمية أو تربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الإسلامي وهو مايحدث حين الأخذ بالنظم غير الإسلامية لأنها في النهاية تصادم (التصور الإسلامي) وتناقضه وفي الوقت ذاته فإن للإسلام تصوراً عاماً شاملاً تنبثق عنه فلسفة تعليمية وتربوية قائمة بذاتها .

ولذا فإن نظام التعليم الإسلامي يجب أن يقوم على أساس هذا التصور الخاص المتميز ، أما الوسائل فلا ضير من الاستفادة منها في التجارب البشرية الناجحة مادامت لاتصادم هذا التصور ولاتناقضه .

ولقد طالبت المؤتمرات الإسلامية العالمية للتعليم في دوراتها المختلفة بضرورة تصنيف العلوم إلى نوعين :

الأول : العلوم القائمة على الوحي المتمثلة في علوم القرآن والسنة ومايستنبط منها مع ملاحظة اللغة العربية التي هي مفتاح القرآن والسنة .

الثاني : العلوم الأخرى كالعلوم الكونية القائمة على التجريب وعلوم الآداب والاجتماع والتربية ، وما إلى ذلك في كل المراحل خاصة في البلاد العربية وتكوين « مدرسة إسلامية » أصيلة في النقد الأدبي وعدم الجدل مبنية على أصول إسلامية لها معايير خاصة به حتى تستطيع القيام بنقد الآداب الدخيلة على الفكر الإسلامي وتحقيق نوادر المخطوطات واستنباط مجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية يتفق منهاجها والإسلام لإحلالها محل العلوم الاجتماعية الغربية ورفض فكرة ترقيع وتلقيح العلوم الاجتماعية بالصبغة والأفكار الإسلامية وتدريس تاريخ العلوم والمعرفة لدى المسلمين ودورهم في تطوير هذه العلوم علمياً واجتماعياً ومنجزاتها وتوكيد

الحقيقة التاريخية من أن المسلمين هم الذين قدموا للبشرية « المنهج التجريبي » في البحث العلمي الذي قامت عليه النهضة العلمية الأوربية المعاصرة .

ومن ضرورة التوسع في دراسة الفقه الإسلامي موصولاً بالواقع المعاصر ومشكلاته وقضاياه مع التوكيد على حقيقة هامة هي أن الحلول الإسلامية واجبة التطبيق بشكل متكامل في المجتمع الإسلامي كما تكون دراسة الشريعة بكل فروعها هي الدراسة الأساسية في كليات الحقوق مع عقد دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية على أيدي نخبة من المتخصصين الذين يجمعون بين الإيمان العميق والتخصص الدقيق والقدرة على إبراز مافي الشريعة من شمول وتكامل وسمو ، وقدرة على تحقيق مصالح الأمة وتلبية حاجات الجماعة دون الوقوع في الانحرافات والنتائج الضارة التي نشأت من تطبيق القوانين الوضعية بشهادة المجتمعات المعاصرة : الرأسمالية والشيوعية على السواء .

وهناك مسألة خطيرة كل الخطورة هي مسألة الانبعاث إلى البلاد الأوربية (تلك الألوف المؤلفة من أبناء المسلمين الذين يبتعثون إلى البلاد الرأسمالية والدول الشيوعية ومدى الخطر الذي يلحق بهم من الحياة والدراسة في هذه الأجواء الملغمة بأشد المخاطر أثراً في نفسيات وعقليات شبابنا المسلم الذي ليست له مع الأسف أرضية إسلامية تجعله في حصانة من التيارات والمخاطر حيث يتلقون بفكر الأجنبي المحمل بالعداء للإسلام ويعودون – إلا من شاء الله – سفراء لتلك الدول التي درسوا فيها يدعون لفكرها ومنهجها في الحياة مناوئين دين أمتهم وأخلاقها .

والانبعاث كما يقول الأستاذ محمد الصباغ في كتابه (الانبعاث

ومخاطره) هو أفتك الأسلحة لزلزلة الإسلام من القلوب وبين أيدينا حقائق يجب أن لاتغيب عن الأذهان ومنها أنهم أعداء الدين قد حرضوا على سلوك كل سبيل لإخفاء وجهتهم ، ومع ذلك فهي أكبر من أن تستتر وهم يهدفون إلى احتواء أبناء المسلمين بما ينشأ عنه ضعف سلطان الإسلام وزحزحته عن قلوب وعقول هؤلاء المبتعثين .

ولاشك أن للانبعاث وجهاً إيجابياً إذا أخذ بمعزل عن محاذيره ولكن سلبياته أكبر ، وهي تتمثل في تأكيد التبعية للأجنبي مع أن الله تبارك وتعالى حرم علينا التبعية لغير المسلمين .

ومن أخطر الآثار أن يعود المبتعث ليحقق أغراض أعداء أمته (كالسيد أحمد خان وطه حسين وغيرهم) .

ثم إن هناك الانحراف العقائدي والانهيار الأخلاقي اللذين يصاب بهما كثير من أبنائنا لأن عوامل الإفساد والإغراء والتشكيك التي يتعرضون لها تتغلب على عوامل المقاومة .

ومن هنا فلابد من وضع ضوابط وحصانات كافية لحماية المبتعثين المسلمين من الأخطار فيختار من هو متمسك بدينه المحصن من التأثير وأن يحاط المبتعث بالجو الإسلامي وأن يكون واعياً للمؤتمرات المدبرة .

حاشية : ماتزال مسألة الثنائية في نظام التعليم والازدواج بين المنهج الإسلامي والمنهج الغربي وغلبه المنهج الغربي بتناقضاته ومفاهيمه المخالفة لمفهوم الإسلام .

وماتزال أنظمة التعليم في البلاد الإسلامية تستمد أفكارها الأساسية من وجهات نظر غربية تحجب المفاهيم الإسلامية تماماً ونحن

في حاجة إلى أن نثبت جذورنا الثقافية الأصيلة أساساً ثم نبني عليها فكرة الاستفادة من الخبرات العالمية ، أما أن تكون هذه الخبرات وسيلة إلى التبعية وإلى حجب قيمنا الأساسية فإن ذلك أمر فيه من الخطورة مافيه .

هذا فضلاً عن أن النظم التعليمية الوافدة تجعل هدف التعليم حفظ المعلومات لاجتياز الامتحانات بدلاً من أن تفسح المجال الكافي لهضم المادة والتطبيق .

الفصل الرابع

الأزهر

انور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

كانت سياسة (دنلوب) تهدف إلى إنهاء دور الأزهر الشريف حصن اللغة العربية والشريعة الإسلامية من خلال مؤامرة ضخمة للقضاء على مفهوم الإسلام الصحيح والثقافة الإسلامية ، وبعد دوره الذي قام به في مواجهة الحملة الفرنسية والاستعمار البريطاني فعملوا على تفريغه من جوهره الأصيل بالتأثير على مناهجه من ناحية وإنشاء تعليم مواز له يمثل في التعليم العام والجامعة المصرية ، التي تستمد مناهجها من مناهج الإرساليات التبشيرية التي سبقت في العمل في إستانبول وبيروت والقاهرة ثم كانت الخطة أن يتحول بعض خريجي الأزهر نفسه إلى عامل هدم له على النحو الذي عرف عن طه حسين وعلى عبد الرازق وغيرهما من الأزهريين المغربيين .

ولقد كان الأزهر في نظر علماء الشعوب والاجتماع لاشك أنه المدرسة الوطنية التي تربط الأمة بماضيها وتلقين جيل ماكان لسلفه من دين ولغة وعادات خلقية ، ولذا كان ولم يزل مكان الخطر على الاستعمار الغربي وعلى سياسته في حكم الشعوب الإسلامية .

وقد أورد (أيست كريك) الأستاذ بجامعة هيدبرج بحثاً عن بيان صلة الرسلام ومقدار علاقة الأزهر على الخصوص بالحركات الوطنية في الشرق ، وقد أرجع البحث الحركة الوطنية ضد السيادة الفرنسية في تونس ومراكش والجزائر إلى الأفراد الذين غلبت عليهم الدراسة الوطنية الإسلامية وعلى الأخص أولئك الذين تلقوا علومهم في الأزهر في نظر الكاتب وفي رأى كثيرين من أمثاله منبع الخطر على السيادة الأجنبية في الشرق كله .

وتكشف وثيقة (الإسلام الخطر) هذه الوثيقة السرية التي أخفيت

في دهاليز المتحف البريطاني ولم تر النور منذ ٧٥ عاماً وترجمها (محمود الشاذلي) عن محاولة قلع جذور الفكر الإسلامي من بلد الأزهر الشريف بل من شبه الجزيرة العربية .

وتتضمن الوثيقة نص الخطاب الذي ألقاه (هـ . ت . جار) في مؤتمر أدنبرة للتبشير في القاهرة ٨ يونية ١٩١٠ .

يقول : نحن مطلعون على الحركة العصرية التي تؤثر في الممالك الإسلامية الوسطى (تركيا - مصر - فارس - الهند) وكلها أقطار قد وجدت الأفكار الأوربية طريقها إليها وقد أنتجت خميرة سياسية وفكرية وكلاهما تؤثران في الدين .

وتهدف هذه المخططات كلها إلى توجيه قادة النفوذ الأجنبي في البلاد العربية والإسلامية إلى الحد من نفوذ التعليم الديني الذي يقوده (الأزهر - الزيتونه - القرويين) .

فقد كان الأزهر وكانت الزيتونة والقروين من وراء حركات المقاومة الوطنية والمسلحة ولذلك عمد الاستعمار بعد الاحتلال إلى تفريغ هذه المعاهد من محتواها الإسلامي الأصيل .

فقد حاول المستعمر أن يذيب الشخصية الإسلامية ، لولا حماية المعاهد الإسلامية له ، ولقد كانت حركات التحرر كلها مدنية لوجودها للأزهر والزيتونة والقرويين .

وقد كان موضع المؤامرة عليه من كل القوى من الفرنسيين ومن محمد على ومن الانجليز ومن الحكام المتسلطين تحت تأثير رغبات القوى الغازية وفي ظل حركة الجيش جاءت الخطوة الخطيرة : خطوة تطوير

الأزهر ١٩٦١ في حلقة من حلقات الحرب على الإسلام : مصادرة الأوقاف وإغلاق الكتاتيب وإلغاء المحاكم الشرعية .

واستهدفت خطة تطوير الأزهر تقليص دور الأزهر والإسلام جميعاً وقد شهد بذلك كثير من رجال الأزهر نفسه والمسئولية عنه حيث يقول الدكتور محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر) جريدة النور ١٩٨٢/٦/٣ - الواقع الذي شهده الأزهر في بداية تجربة التطوير كشف عن أن الهدف من هذا التطوير كان يقصد به الإقلال من شأن رسالة الأزهر الدينية أو إضعاف هذه الرسالة ، فقد أراد أصحاب فكرة التطوير أن يكون التطوير شراً مستطيراً على الأزهر ، وكانوا يظنون أن إدخال كليات جديدة كالطب والهندسة والزراعة والتجارة والعلوم سيؤدي إلى إنصراف العدد الأكبر من الطلاب عن الكليات الأزهرية الأساسية (وكان الهدف هو تجميع الكليات الأزهرية الأساسية في كلية واحدة) ولكن صرفهم التيار الأزهري القوي في ذلك الوقت وما تسرب إلى أذهان الأزهريين من أنهم يريدون هدم الأزهر ونتيجة للمقاومة العنيفة التي وجدوها رجعوا عن هذه الفكرة .

وكذلك ضيق المستعمرون على جامعة القرويين بعد الاستقلال من طرف فئة رباها الغرب في حضن ثقافته وفكره ولغته يكيد لها ويتربص بها مستخدماً كل الوسائل لتدمير ذلك الكيان على اعتبار أنه يهدم العقيدة الإسلامية التي تحول دون تحقيق هؤلاء لخططهم الهادفة للقضاء على كل مامن شأنه أن يجعل الأمة تتمسك بدينها ومقومات أصالتها .

وفي عام ١٩٦٠ تحولت جامعة الزيتونة إلى كلية في الجامعة التونسية سميت بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين وأصبح عدد

طلابها ٩٧٠ طالباً بعد أن كان عشرة آلاف واقتصر عمل خريجي الزيتونة على الوعظ وتدريس التربية الدينية والوطنية وكانت جامعة الزيتونة تضم (الشريعة – وأصول الدين – كلية الآداب – كلية اللغة العربية والمعهد العالي للقراءات) .

وقاوم الشاذلي هذه الخطة مع زملائه مقاومة شديدة يجب أن تسجل له في ظل أوضاع شديدة التعصب ضد الإسلام وهكذا هوجمت المعاهد الإسلامية الكبرى الثلاث لأنها وقفت في وجه النفوذ الاستعماري وحافظت على القرآن والسنة واللغة العربية وقد احتمل علماء الإسلام من التغريبيين الكثير من الاتهام ووصفهم بالجمود والتأخر .

وقد عادت الأمور إلى مرحلة من مراحل الاعتدال فأعيدت الزيتونة وأتيح للقروين عصر جديد ، ويحاول الأزهر مواجهة أخطار قانون التطوير وقد قدمت مخططات كثيرة لتعديل نظام الأزهر بما يحفظ عليه رسالته الحقيقية التي كان قانون ١٩٦١ عاملاً من عوامل إضعافها وأهمها : المادة التي تسمح من شأنها التأثير البالغ على حياة خريج الأزهر مدى الحياة من حيث إضعافه علمياً في نظر من يتصلون به في الصلاة أو الفتوى أو الفقه .

وقد كان هذا الخطر مركزاً في مقولة : الامتحان في المقروء حيث لايحفظ القرآن كاملاً وقد عد البعض فكرة الامتحان في المقروء جريمة كبرى لابد من إيقافها بحزم .

وقد أشارت أبحاث تربوية في الأخير إلى أن مناهج كلية الشريعة والقانون في الأزهر مخالفة للشريعة الإسلامية ولايختلف مع مفاهيم الجامعات المصرية التي تدرس القانون الوضعي وأنها تقدم نفس المناهج

التي تدرس في كليات حقوق عين شمس والاسكندرية وأسيوط وفقاً للقوانين الوضعية ، ومنها القانون الجنائي الذي لايعاقب على جرائم الزنا واللواط والسحاق ، والقانون المدني الذي يبيح الربا والقمار ويثبت نسب الأولاد من حرام ولايعاقب على ذلك بل يحميه إلى غير ذلك من القوانين الأخرى ولذلك فإن خريجي كليات الشريعة والقانون لايختلفون عن خريجي كليات الحقوق حين يتخرجون ويتم تعينهم في وزارة العدل بعد ذلك وكلاء للنيابة ثم قضاة يحكمون بهذه القوانين الوضعية ولايستطيعون الحكم بغيرها وهذا الحال مستمر منذ صدور قانون تطوير الأزهر في مايو ١٩٦١ وقد انصرف أبناء دول العالم الإسلامي عن جامعة الأزهر لهذا وأخذوا في إرسال أبنائهم إلى جامعات السعودية .

وقد دافع بعض المسئولين فقال إن القانون الوضعي يتفق في أغلب مواده مع الشريعة الإسلامية كقوانين الشفعة أو التعزيز ، على أن هذا لايمنع من القول بأن القانون الوضعي يحتاج إلى تعديلات هي من اختصاص السلطة التشريعية الممثلة في مجلس الشعب وهي من الدراسات التي تجرى منذ سنوات لتنقية القوانين وتعديلها وفقاً للشريعة الإسلامية وأن لدى رجال القضاء الذين تخرجوا من جامعات غير أزهرية الجرأة للمطالبة بتعديل القوانين طبقاً للشريعة الإسلامية أكثر من الأزهريين أنفسهم .

وأشار البعض إلى أنه في الجامعات المدنية لاتدرس سوى مادة واحدة للشريعة الإسلامية طوال سنوات الدراسة أما جامعة الأزهر فإن المواد الشرعية يتم تدريسها بالكامل طوال سنوات الدراسة حيث تدرس الفقه المذهبي كله ومقارنته بالقوانين الوضعية وكذلك دراسة الاقتصاد الإسلامي في مختلف السنوات .

الفصل الخامس

المرأة

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

استطاع النفوذ الغربي خلال سيطرته على الفكر الإسلامي أن (يدمر) مفهوم المرأة الصحيح الذي جاء به الإسلام ويفرض مفهوماً زائفاً أراد أن يضرب عدة عصافير بحجر واحد ؛ (هدم الأسرة ، إفساد الأبناء ، تدمير المجتمع) .

وقد تصاعدت مقولات خصوم الإسلام وفرضت نفسها بقوة نفوذه حتى بدأ الإسلام وكأنه عدو المرأة التي سلبها حقوقها على مدى الأجيال وتضاءلت الحقائق الأساسية الكبرى التي تؤكد أن المرأة قبل الإسلام وفي عالم الغرب نفسه كانت رقيقاً يباع ويشترى وكانت لايؤبه بها ولايحسب لها حساب .

وتصاعدت دعوة مضللة تحت عنوان (تحرير المرأة) أريد بها إخراج المرأة من مهمتها وبيتها ودفعها إلى الأهواء والمطامع تحت عنوان الحرية الزائف وقد امتدت هذه الجولة جيلاً بعد جيل غير أن الحقيقة مالبثت أن عرفت وكشف اللثام عن المؤامرة الخطيرة التي أريد بها تقويض نظام المجتمع الأصيل :

﴿ وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ .

﴿ ولاتخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ﴾ .

﴿ ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ .

ولقد حرص النفوذ الأجنبي على طمس هذه الرسالة وحجب هذه المهمة ، وكان لابد أن يؤدي هذا (كما تقول السيدة صافيناز كاظم) إلى

سرقة فطلب تحرير المرأة من منطلقاته وتصوراته الإسلامية بعد أن تقاعس علماء المسلمين عن أن يكونوا أول من يقود الحملة نحو أمية المرأة المسلمة والدفاع عن حقوقها الشرعية وإعادتها إلى ملامح ومعالم صورتها كما قررها القرآن الكريم ، ثم كانت الدعوة إلى تقديم نموذج المرأة الغربية (وكانت دعوتهم إلى هجر التأصيل من التراث لحساب التبعية الفكرية لغرب يمقتنا دينياً وجنسياً وتاريخياً ويمارس علينا نفوذه وغطرسته في محاولة لجذب جباهنا عند أقدامه) جباهنا نحن المسلمين أصحاب العزة من الله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

كان مطلبهم أن ننظر بإكبار إليهم ونتخذهم قدوة ومثلاً أعلى ومن ثم يصير كل شئ ينسب إلينا أو تتعلق به أصولنا سلفياً جامداً مرفوضاً .

وكان السعي حثيثاً لتأخذ المرأة المسلمة ملامح الغربية وكلما تطابقت صورتها مع الغربية كلما زاد الإعجاب بها واشتد تقريظها حتى سقطت المرأة المسلمة فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر التي ظلت معتزة بزيها الخاص (الساري) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى أن جعلت المرأة المسلمة تقف خصماً أمام الوطن المسلم ، ضد شريعتها تمتلئ رهباً وهلعاً كما قيل لها هناك ممن يطالب بتطبيق حكم الشريعة وبتفرج أساريرها فرجة بانهزام المسلمين فرجه بقانون مستلهم من الغرب المستعمر لبلادها المهيمن على مقدرات أهلها .

وكان قاسم أمين ممن أسهموا بجدارة في التواء النهضة المصرية عند انبعاثها الإسلامي لتكون نهضة ثقافية اجتماعية مستهلكة لنتاج

مصانع الغرب ونافذة عرض دعائي له يدعو بحماس لتقليد رجاله ونسائه ونظام عيشه .

يقول قاسم أمين في كتابه : (المرأة الجديدة) :

نحن لانستغرب أن المدنية الإسلامية أخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير مكانتها فليس خطؤها في ذلك أكبر من خطئها في كثير من الأمور الأخرى .

ثم يقول : الذي أراه أن تمسكنا بالماضي إلى هذا الحد هو من الأهواء التي يجب أن ننهض مسبقاً لمحاربتها لأنه ميل إلى التدلي والتقهقر ، وهذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه وليس له من دواء إلا أننا نربي أولادنا على أن يعرضوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها .

فإلى هذا الحين - ونرجو ألا يكون بعيداً - انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي ويقيننا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح مافي أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة .

وبعد أن دافع قاسم أمين عن حجاب المرأة المسلمة في كتابه (المصريون) حدثت مؤثرات من الأميرة نازلي أثرت على قاسم أمين مما أدى إلى حدوث متغيرات في فكر قاسم أمين وظهر كتابه الثاني (تحرير المرأة) يفترض المؤلف فيه أن المرأة مستعبدة ومقيدة ولذا فهي تحتاج إلى الحرية التي تحطم بها هذه الأغلال .

كان هذا الكتاب نوعاً من الاعتذار للأميرة نازلي التي أغضبها كتابه

الأول . وقيل : إن الشيخ محمد عبده ومحمد المويلحي وسعد زغلول اتفقوا على أن يقدم قاسم أمين الاعتذار للأميرة نازلي وقبلت الأميرة الاعتذار ودفع قاسم أمين الثمن فأخذ يتجنى على الحقائق ويحاول أن يلوي عنقها حتى خرج كتابه تحرير المرأة ، وغير أفكاره القديمة ورأى أن في الارتباط بالمدنية الإسلامية الجهل والكسل والانحطاط واتجه إلى حجاب المرأة السائد وأخذ يحاول أن يدلل بأن حجاب المرأة ليس من الإسلام وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج عن الإسلام الصحيح .

وقال : إن الشريعة ليس فيها نص يوجب الحجاب على الطريقة المعهودة إنما هي عادة عرضت للمسلمين من مخالطة الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها وألبسوها لباس الدين وقال : إن الحجاب هو تشريع خاص بنساء النبي أ . هـ .

ونحن لنا على هذا الكلام ملاحظات : أهمها أن الشيخ محمد عبده (ساعد) أو كتب أو أفتى بالنصوص الفقهية التي اعتمد عليها قاسم . وثانياً : أن الحجاب في الآية الكريمة هو لنساء المؤمنين عام وزوجات النبي خاصه وما أهون الثمن الذي حصل عليه قاسم أمين حين غير رأيه من الدفاع عن المرأة المسلمة إلى إرضاء نازلي فاضل في سبيل عرض الدنيا الزائل .

والواقع أنه من وراء القضية مؤامرة مبيتة رسمت على هذه الصورة ودخل في بطولتها سعد زغلول الذي أهدى له قاسم أمين كتابه (المرأة الجديدة) وسعد هو الذي نزع الحجاب من على وجه المرأة التي قادت المظاهرة لاستقباله بعد عودته من المنفى وسعد وصلته باللورد كرومر وبصهره مصطفى فهمي الذي حكم مصر بولاء الاستعمار البريطاني

بضعة عشر سنة يدخل دخولاً قوياً إلى هذه المؤامرة .

ولقد انطلقت المؤامرة واندفعت المرأة إلى مجالات العمل والكشف والحرية وقطعت شوطاً طويلاً فماذا حقق ذلك للمجتمع المسلم ، إن إعادة النظر في تقييم تجربة المرأة يستطيع أن يكشف النتائج الخطيرة التي عانى منها مجتمعنا خلال هذه المرحلة .

هل كان تعليم المرأة صحيحاً وهل فعلاً أعدت للمرأة مناهج تشكلها بها في سبيل مهمتها وغايتها الحقيقية .

هل قدرت المرأة مسئولية تربية الأبناء وخطورتها أم أهملتها وحرمت أطفالها من الحنان وأسلمتهم للخادمات ودور الحضانة في سبيل تحقيق أهوائها .

هل أعطى عمل المرأة نتائجه الحقيقية وهل استطاعت المرأة أن تحقق أي تقدم في عمل من الأعمال وهل استطاعت أن تؤدي عملها إلا بمعونة من الذين أعجبوا بها أو عطفوا عليها .

هل استطاعت المرأة أن تستفيد من مواردها أم ضاعت هذه الموارد على الملابس والمواصلات ، ذلك أن الرجل المسلم لايطلب أجر امرأته ، إن تقييم تجربة المرأة إذا درست على وجه صحيح ستثبت الفشل الذريع وأنها كانت ضحية خدعة كبيرة ، وهذا هو ماتكشف في هذه العقود الأخيرة للمرأة المسلمة حين عرفت كيف بدأت سلاسل الاستعمار الاجنبي وأغلال النفوذ الغربي على المجتمع الإسلامي تحيط به وتطوقه ، فقد كان في تقديره الاستعمار أن يكون مسألة المرأة المسلمة من الأسلحة النافذة لهدم الأسرة وتدمير المجتمع وإفساد قيم الأخلاق والتعليم وتربية الأجيال .

وكانت قصة تحرير المرأة أو بالأحرى مؤامرة تحرير المرأة هي من أبرز ماعمل له النفوذ الاجنبي بإزاحة الحجاب وإشاعة روح السفور ، وخلق طابع الاستهانة بالقيم الاخلاقية ، ذلك أن الإسلام في الحقيقة هو الذي فتح للمرأة باب حريتها بعد عصور الظلم والظلمات ولكن ماكانت تطمح فيه القوى الغازية هو هدم الأسرة وإفساد الأجيال إيماناً بأن هذا هو منطلق تدمير المجتمع الإسلامي جملة .

وقد كشفت الأبحاث الجادة والمتجردة من الأهواء أن هذا الاتجاه يتعارض مع تركيب المرأة الفسيولوجي والعقلي والروحي ومع مسئولية المرأة الأولى في بناء الأسرة والمنزل ورعاية الطفل .

ولقد تنبهت المرأة المسلمة في العقدين الآخرين من القرن الرابع عشر الهجري إلى المؤامرة ، وفتحت الباب واسعاً أمام مفهوم الإسلام الأصيل ومن ثم عرفت الزي الساتر والحجاب وعرفت مفهوم عمل المرأة في الإسلام إذ رأت المرأة الضرورة لهذا العمل فالإسلام لم يمنعها من العمل الجاد المناسب لها فهو لم يحرم عليها أن تكون طبيبة أو مهندسة أو باحثة شريطة أن تستر جسدها ، فالإسلام لايبيح أن تكون المرأة معرضاً لترويج البضائع أو البيع في المحلات أو ركوب الطائرات ، كذلك فإن الإسلام لم يحرم على المرأة إبداء رأيها فالرسول ﷺ أخذ برأيها واستشارها في أمورها ، وعلى المرأة المسلمة ألا تكل عن الواجب المقدس المنوط به وهو تربية أبنائها وتحمل مسئولية العمل لصالح الأمة الإسلامية .

وإذا كانت المرأة في مفهوم الإجماع الإسلامي هي قاعدة البناء كله فإن القوى الأجنبية اليوم تقف موقف الحقد والكراهية والتآمر إزاء هذا الخط الملتزم الذي أصبحت تتمسك به كانما كانوا يريدونها أداة يستغلونها

في مؤامرة هدم المجتمعات الإسلامية ، وهم يحاولون اليوم محاصرة هذا الاتجاه ويدرسون أمور المحجبات ويحاولون ايجاد ثغرة ينفذون منها إليها حتى أن ستة عشر قسيساً من المانيا الغربية ذهبوا إلى علماء الأزهر يسألونهم في هذا الأمر ويعجبون لأن الجامعة الأزهرية تفرق بين الجنسين

وقد كشف لهم المسئول عن عجبه لدهشتهم من هذا الاتجاه ، اتجاه عودة المرأة المسلمة إلى المنابع وإلى الأصالة ، وقال : إن الإسلام يدعو إلى عدم الاختلاط بين المرأة والرجل تجنباً للرزيلة والمجتمع الذي تدعو إليه الشريعة الإسلامية هو مجتمع الفضيلة ولافضيلة على الاطلاق في اختلاط الرجال بالنساء وذكرهم بما يحدث لديهم في المجتمعات الغربية التي تجني كل يوم سيئات الإباحة حيث أعطيت للفتاة في هذه المجتمعات كل الحرية في مصاحبة الشباب والخروج من المنزل والعودة حتى تشاء في حين أن المرأة المسلمة إذا بلغت المحيض فيبغى لها أن تستر جسدها وتعتزل الرجال ، وهاهي المجتمعات الغربية تشكو من ازدياد عدد الأطفال الذي لا آباء لهم يوماً بعد يوم بالإضافة إلى أن هؤلاء الأطفال سيتغلبون على المجتمع في النهاية ويتحولون إلى أدوات هدم ، وقال العالم المسلم للقساوسة الستة عشر أن سياسة الإباحية الجنسية التي تأخذ بها المجتمعات الغربية قد أدت إلى ظهور أمراض خطيرة كمرض الأيدز الذي لم يكتشفوا له علاجاً حتى الآن ، والغريب في الأمر أن الغرب يبحث عن علاج الأعراض أما المرض الحقيقي وهو الإباحية والاختلاط فلم يفكر أحد في محاربته وعلاجه حتى الكنيسة لم يسمع لها صوت في هذا المجال .

أما حقوق المرأة في الإسلام فإن الإسلام عرف للمرأة قدرها وأوجب لها حقوقاً تتمتع بها وفي الوقت الذي مازالت فيه المرأة في الغرب

تحلم بحريتها والتمتع بحقوقها فإن المرأة المسلمة نالت هذه الحقوق كاملة غير منقوصة ، ومن هذه الحقوق أن الإسلام ضمن للمرأة أموالها بعد أن ترتبط بزوج فقد أعطاها حرية التصرف في مالها سواء كان مالها هذا بالميراث أو ماأخذته مهراً ، فالمرأة المتزوجة لاتستأذن زوجها في التصرف في مالها الخاص بها ، كذلك فإن المرأة المسلمة تظل تحتفظ بشخصيتها ولاتنتسب إلى زوجها وإنما إلى أبيها وهو عكس مانجده في الغرب حيث تنسب المرأة إلى زوجها وحتى مهر المرأة لايجيز الإسلام للرجل أن يأخذ منه شيئاً ولو فعل لكان آثماً . قال تعالى ﴿ وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ - النساء .

وهذه الحقوق لم تنلها المرأة لافي الشرائع السابقة ولافي القوانين الوضعية ثم إن كثيراً من القوانين التي صاغتها عقول الغرب تحرم المرأة كثيراً من الحقوق التي نادى بها الإسلام وإذا كان القانون الألماني قد أعطى المرأة حق التصرف في أموالها فإن القانون الفرنسي يحرم المرأة من هذا الحق وتعتبر المرأة قاصراً لاتستطيع أن تتصرف في أموالها الخاصة وأنتم ياأهل الغرب لقد توصلتم إلى هذه الحقوق منذ عشر سنوات فقط بينما نادى بها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وكل الحقوق الذي تنادي بها القوانين بعد ذلك فلا فضل لها في ذلك فالإسلام هو صاحب الفضل فيما وصلت إليه المرأة من مكانه وهو يفتخر بأنه حسم وضع المرأة منذ زمن طويل .

هذه الحقائق التي يكشفها الإسلام أمام أهل الأديان الأخرى مايزال بعض المتمردات من فتياتنا المغربات ينكرنها ويندفعن وراء أهواء مرسومة وأطماع مكشوفة فنجد من تذهب إلى بعض المؤتمرات الدولية ليتحدثن تحت عنوان : لماذا انخفضت قيمة المرأة عن الرجل في الأديان .

ويناقش مجموعة دعاوي كتبها المبشرون والمستشرقون ووضعوها على ألسنة بعض المتمردات اللائي حفلت حياتهن بكثير من عوامل الغرور والكذب والأدعاء وهم في هذه الترهات التي يرددنها يخالفن كل دين وكل حقيقة علمية ويخالفن القرآن الكريم ذلك النص الموثق الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وعلى هذا الطريق تتشكل جماعات مريبة هنا وهناك بدعوى العمل على اطلاق الطاقات الفعلية للمرأة ورفع الحجاب عن عقلها والتصدي للأفكار المتخلفة التي هي في نظرهن : الزواج والطفل والأسرة وهم يتطلعون في دعوى باطلة في محاولة ترمي إلى معارضة الفطرة والدين والعرف والعقل ومن وراء ذلك قوى استعمارية وصهيونية بهدف تحقيق غايات مايسمونه الحرية الجسدية وحق المرأة في التحرر من حدية رجل هو الزوج وهي مقولات تعتمد على صور ساخرة وأساطير وطبالات وخرافات مما تحويه كتابات ألف ليلة وشهر زاد ويرتفع صوت هذه الجماعات بالدعوة إلى إشباع الرغبات وممارسة ذلك كحق طبيعي في حرب معلنة على العفة والأخلاق والقيم وإعتبار هذه الضوابط قيوداً على الحرية .

ومهما بدت هذه الكلمات غريبة فهي مسرفة في الدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة دون تفرقة جنسية أو نوعية وترى أن عدم تحقيق ذلك (حرية المرأة إختيار من تعطيه جسدها) على حد عبارة المنشورات المطبوعة فمعنى ذلك أن المرأة مقهورة وأن الرجل متسلط عليها ولاريب في أن وراء هذه الصيحات المتحررة قوى خطيرة تريد أن تصل إلى غايتها حيث ترى هذه الجماعات أن العدو الحقيقي للمرأة هو (الدين) وهنا تكشف الغايات الخفية التي تحركها الماسونية العالمية من وراء ستار .

وعندنا أن المرأة إذا كانت منصفة حقيقة فإنها لن تجد غير الإسلام منصفاً لها مهما ذهبت شرقاً وغرباً فقد حمل الإسلام للمرأة لواء الحماية والرعاية ، وكل ماتطمع فيه فيما سوى ذلك فهو ضلال وقبض الريح ولن تحقق مهما ذهبت في مؤتمرات عالمية إلى أطراف الأرض وستعود بالخيبة والخسران لأن القوى إلى تحركها لاتريد بها الخير وإنما تطمع في أن تجعلها فريسة سهلة للاهواء . وحتى تنكشف خفايا هذه المناورات والمؤتمرات على المرأة المسلمة فإن على الفتاة المسلمة في هذا العصر .

أولاً : أن تعد نفسها لتكون مؤمنة بربها محبه لنبيها متعلقة بقرآنها ساعية لفهم دينها ومنهج العبادة وفقه الطهارة في وسطيه إسلامية مطلوبة في كل الأمور بعيداً عن المغالاة .

ثانياً : أن تعد نفسها لفهم مهمتها في الحياة ودورها الذي أعدها له الله تبارك وتعالى لأدائه في بناء البيت المسلم والطفل المسلم .

ثالثاً : أن تعد نفسها لفهم ماحولها ، تفهم مسئوليتها إزاء دينها ، إزاء أمتها ، إزاء وطنها .

رابعاً : أن تعرف الحقيقة الإسلامية الأساسية بأن هذه الصورة التي قدمت لها عن تحرير المرأة هي خدعة كبيرة وإنها محاولة لإخراج الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة من مسئوليتها الربانية التي أعدها لها الله تبارك وتعالى .

خامساً : أن قوامه الرجال للنساء ليست سلطة تحكمية ولكنها رعاية وحماية وتفهم فالحقوق والواجبات في المنظور الإسلامي للأسرة أساسها المودة والرحمة وحسن المعاشرة .

حاشية (١) : تتطور قضية المرأة في هذه الأيام على نحو غير طبيعي نتيجة دوافع دخيلة وافدة تحاول أن تفرض نفسها على المجتمع الذي يتوجه نحو الإسلام بخطى واسعة حيث يجد أصحاب النفوذ الوافد والقريب في عدد من المتصدرات أداة طبيعية لحملة جديدة .

حيث يقال أن الرجل سيطر على المرأة في الماضي وأنه يحاول ويحارب لاستمرار هذه السيطرة في الحاضر ، وأنه لابد للمرأة إذا أرادت أن تتحرر من هذه السيطرة أن ترد للرجل الصاع صاعين وأن تسيطر عليه وتستعبده وهذه هي عبارة الدكتورة نوال السعداوي في أولى صفحات كتابها عن المراد بالسؤال الاستفزازي : ماهو السبب التاريخي الأول الذي جعل الرجل مسيطراً على المرأة وهل عرف التاريخ البشري عصراً لم يسيطر فيه الرجل على المرأة ، وهي سيطرة الرجل على المرأة حقيقة قديمة منذ الأزل أم حادث عارض له سبب اجتماعي وبيولوجي .

ويتنكر الباحثون في هذا الصدد للحقائق الطبيعية والبيولوجية التي طالما أشار إليها الأطباء والعلماء عن الفوارق الدقيقة والعميقة والجذرية بين الرجل والمرأة وبين تركيب المرأة وتركيب الرجل وفقاً لمهمة كل منهما .

حاشية (٢) : المؤامرة على المرأة المسلمة

كان مرقص فهمي القبطي هو الذي كتب عام ١٨٩٤ كتابا تحت عنوان المرأة في الشرق دعا فيه إلى خمسة مبادئ أساسية :

١ - القضاء على الحجاب .   ٢ - إباحة الاختلاط .

٣ - الطلاق (ووجوب وقوعه أمام القاضي)

٤ - منع الزواج بأكثر من واحدة .

٥ - إباحة الزواج بين المسلمة وغير المسلم .

ثم جاءت مرحلة قاسم أمين ثم بدأت الحركة النسائية في مصر ١٩١٩ بقيادة هدى شعراوي والاتحاد النسائي وقد عمل هذا الاتحاد على أساس المبادئ الخمسة التي وصفها مرقص فهمي والتي ظلت أساساً لكل مقررات المؤتمرات النسائية بالمطالبة بتقييد الطلاق وتعيين تعدد الزوجات والمساواة التامة الكاملة بين الرجال والنساء في كل الحقوق والواجبات وكانت بنت النيل قمة هذا الاتجاه وظل الأمر كذلك حتى قامت جمعية السيدات المسلمات (زينب الغزالي) في إطار الدعوة الإسلامية إلى الاعتصام بالدين وحث المرأة على التمسك والدور الذي عليها أن ينهض به وفي هذا المجال قال الشاعر أحمد محرم :

أغرك يااسماء ماظن قاسم
أقيمي وراء الحذر فالمرء واهم
تضيقين ذرعاً بالحجاب ومابه
سوى ماخبت تلك الرؤى والمزاعم
سلام على الأخلاق في الشرق كله
إذا هنا استبحت في الخدور الكرائم
أقاسم لاتقذف بجيشك يبتغي يقوم
والإسلام فالله عالم

الفصل السادس

الطفل المسلم

انور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

بحيث

أن يكون واضحاً أن هناك مؤامرة على الطفل المسلم في دائرة المؤامرة التي رسمتها بروتوكولات صهيون على الأمميين (أي غير اليهود) وقد تضاعفت في السنوات الأخيرة عمليات التركيز على الأطفال لإخراجهم من قيمهم الفطرية على نحو واضح وفق مقولة : (أن لايستحي من تعريه جهازه التناسلي) .

الهدف هو السيطرة على الأجيال الجديدة منذ المرحلة الأولى ليكون أداة طيعة في تقبل مفاهيم الإباحة والإلحاد والوثنية التي تحفل بها مناهج التربية الحديثة التي غرسها (ديوى ومكروجل وفرويد) وهي التربية التي ترفض رفضاً باتاً توجيه الطفل أو تقديم الاستشارة أو النصيحة إليه أو تعليمه معرفة ربه أو دينه أو هدايته إلى أسلوب الخير الذي جاءت به رسالات الأنبياء وهذه الخطة تركز على تقديم الجنس إلى الأطفال وذلك بإنشاء موسوعات كاملة عن الأعضاء الجنسية وعمليات الالتقاء بين الرجل والمرأة وتقديم الفكاهات والنكات المبتذلة المتداولة حول هذه العمليات وذلك لينشأ الطفل منذ أيامه الباكرة على اعتياد النظر إلى هذه المسألة نظرة طبيعية وبذلك تختفي تماماً من مفاهيمه روح العرض والشرف والكرامة والغيرة والحفاظ على البكارة في البنات والحفاظ على مالا يجوز كشفه من أدوات الجسم .

وقد تدفقت اليوم على آفاق الفكر الإسلامي مؤلفات تركز على الجنس والعنف والعرى ، ترجمت عن كتب ملوثة وطبعت على ورق فاخر واستهدفت البلاد المتعددة وكلها تمجد المغامرة والعنف والاستغلال والتحرر

وفي محيط المسلمين وجهت السهام إلى هدم بطولات المسلمين

بتقديم بطولات طرزان ودراكولا - وهي صور خيالية لشخصيات ليس لها وجود حقيقي ولكنها ترمي إلى تصوير الرجل الأوربي القوي وهو يهزم ويدمر مجاهل وغابات أفريقيا ويثير الإعجاب هذا الرجل الأوربي الذي يصوره الغرب في صورة البطولة الخارقة بالنسبة للمسلمين والعرب الذين يعيشون في الأكواخ والفقر ، وهناك كذلك شخصية (جيمس بوند) رجل المغامرات الذي لايتحلى بفضيلة ما لان الغاية عنده تبرر الواسطة وهو محمل بغرور القوة وغرور الثراء وهناك عشرات القصص الأخرى التي ترجمت وقدمها عملاء التغريب ودعامتة إلى أهل بلادنا العربية ونشرتها المكتبات المشهورة وهي قصص تحمل جراثيم الانحلال والرزيلة لأنها ترجمت عن كتاب غربيين إباحيين وتباع بأسعار رمزية زهيدة وقد صاحب هذا التيار الذي يبلغ الآن ذروته في البلاد العربية مجموعة أخرى من أفلام العنف والجريمة يقدمها التليفزيون في الأوقات التي يكون فيها الأطفال مستيقظون ومنتبهون إلى متابعتها .

ومن هنا فنحن حين نخضع لهذا التيار التلمودي المفروض ، أنما تحقق هدف المؤامرة الكبرى وهو مايضاد ماترمي إليه التربية الإسلامية من حماية الطفل من الخوف وتأمينه النفسي وذلك من حيث لاندري حين ندفع الطفل إلى الخوف فندمر أمنه النفسي .

وقد كشفت الأبحاث العلمية عن مدى خطر القصص الذي يحمل صورة البطل الخارق (السوبرمان) وتقول الدراسات أن هذه الشخصيات لها مضمون واحد يدور حول محور واحد وهو أن الحياة في أي مجتمع لايقوم على الإنسجام بين أفراده وإنما يقوم على تحدي المجموعة بعمل غير عادي يذهل الجميع ويبهرهم فهي تهدف إلى تحقيق ذاتية الفرد باخضاع الجماعة له .

والحقيقة أن البطل الخارق للطبيعة هو غول مدمر يجب إبادته وحماية الأطفال من أثره السئ على نفسياتهم وأغلب مبتكري هذه الشخصيات يهود وظفتهم الأوساط الصهيونية لإشاعة هذه السموم .

أما بالنسبة لمعرفة أثر أفلام العنف والجريمة على الأطفال وهو يشاهدها على شاشة التليفزيون فقد التقى أكبر علماء النفس في العالم من خبراء الشاشة الصغيرة في مؤتمر أقيم في فنلندا وكان أثر أفلام العنف على الأطفال واحدة من المشاكل التي درسها خبراء هذا المؤتمر وحين قدم أحد خبراء علم النفس والاجتماع خلاصة تجربته قال : إنه جمع مجموعة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين أربعة أعوام وخمسة أعوام وعرض عليهم بعض أفلام الجريمة التي يعتدي فيها بطل الفيلم على شخصية مهرج السرك ثم نقل هؤلاء الأطفال إلى قاعة جمع فيها بعض الألعاب ونموذجاً لمهرج السرك وقبل أن يغلق باب القاعة ضم إلى هؤلاء مجموعة أخرى لم تشاهد الأفلام التى عرضها عليهم ومن مكان ماوقف يراقب تصرفات الأطفال وهم ينظرون إلى نموذج المهرج من بعيد والبعض الآخر اعتدوا عليه بالفعل كما شاهدوه وتبين من ذلك قاعدة أن الأطفال ميالون بطبيعتهم إلى التقليد وأنهم حسب البيئة التي نشأوا فيها فإذا تربوا على العنف نشأوا عليه .

كذلك فإن الخطر في مثل هذه القصص والأفلام أنها كتبت على نحو يرمي إلى تصغير الأمم في نفوس أطفالها وتكبير الأمم الغازية ولعل أخطر مافي هذه الغزوة التي يراد بها تدمير الأجيال المسلمة الجديدة هو تقديم قصص الخرافات والأساطير ومفاهيم السحر والمجون والإباحية من خلال المؤلفات التافهة .

ولاريب أن هذه المحاولات جميعاً تحول بيننا نحن المسلمين وبين تشكيل أطفالنا تشكيلاً إسلامياً وفقاً لمفاهيم الإسلام وتعاليمه .

ذلك أنه ليس العنف أو المغامرة من القيم التي نحرص عليها في تربية أطفالنا كما أنها ليست من القيم التي يجب أن ينشأ عليها الأطفال ولو تأملنا الشخصيات التي اخترعها الغرب مثل شخصية (ميكي ماوس) أو شخصية البحار (آكل البسلة) لاكتشفنا أنها شخصيات مثيرة ولكنها تخلو من أي مضمون روحي أو أخلاقي إسلامي .

وذيوع هذه الشخصيات في عالمنا الإسلامي مع عدم وجود منافسة حقيقية تعني أننا نترك مهمة تسلية أطفالنا وتثقيفهم في أيدي أعدائنا الذين لايريدون أن ينشأ أولادنا أقوياء قادرين على حماية أوطانهم مع الاهتمام بأدب الطفل هو فريضة دينية .

ومن المدهش أن الغرب يهتم بالكتب الدينية للأطفال يرسمها بالألوان والتصوير وهذا يقتضينا حراسة عقل الطفل المسلم عن طريق تقديم قصص لايقل مستواها في الكتابة والطباعة والرسم عن قصص الغرب والشرق وليس هناك أعظم من قصص القرآن الكريم وعلينا أن نقدم لهذا العمل جماعة من الأبرار المخلصين الفاهمين للغات العالمية المقدرين للأخطار التي تحيط بأبنائنا وأن يكون هؤلاء المتصدرون مسلمين أساساً وملتزمين ثانياً ، ولما كانت الكتابة للطفل أصعب من الكتابة لعالم الكبار لأنه هو العالم الذي تذوب فيه الحواجز بين الواقع والخيال ويلعب فيه الخيال دوره العظيم - فإن كتاب أدب الطفل يجب أن يكونوا من أصدق الناس إيماناً بالدعوة الإسلامية ومسئوليتها إزاء الأجيال وفهم المحاذير والأخطار التي تواجهه ويقدر الباحثون مدى الضرر الذي يصيب الأطفال مادون

السادسة إذا ما احتوت قصصهم مواقف الفزع والخوف وحوادث الرعب كقصص الجن والعفاريت والمردة والغيلان ومافيها من تعذيب وقتل الأطفال وسجنهم في الظلام دون طعام أو شراب أو مواقف السحرة ومسخهم الأنسان إلى حجارة وحيوانات أو الموضوعات الشريرة مقتل الأنسان والأطفال وطبخهم طعاماً يؤكل ، فهم يصدقون مايقال ومن ثم تتشكل عندهم مفاهيم فاسدة عن السحر والجنيات والأساطير ويعيشون حياتهم في خوف ورعب شديدين .

وأخطر من ذلك كتب القصص التي تمجد الجريمة والمجرمين والخارجين على القانون وعلى نظام الأسرة والمجتمع وتصوير القتل والنهب والجنس بصورة بطولية مبهرة تفتن الأطفال فيعشقونها ثم تدفعهم إلى التهور بتقليدها والقيام بمغامرات حمقاء .

إن كتب المغامرات كتبت لتمجيد الرجل الأبيض وحضارته ومعتقداته فهي ترفعه إلى مصاف المثل والقدوة وتضعه موضع البطولة دائماً بينما تحط من شأن الشعوب الأخرى وهكذا فنحن نحذر تحذراً شديداً من هذا الركام المطروح في السوق الغربي من كتابات الأطفال المليئة بالسموم (سوبرمان وارسين لوبين وشرلوك هلمز وميكي وتان تان) فالهدف هو تدمير المجتمع الإسلامي فالبرتوكول الثالث عشر من بروتوكولات حكماء صهيون يقول :

كي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكتشف بنفسها أي مخطط عمل جديد لها سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب وسرعان مانبدأ في الإعلان في الصحف داعين إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليها .

ولاريب أن كتب الأطفال وكتب المراهقين المطروحة الآن في السوق لاتتلائم مع هدف مطالبنا لإعادة بناء مجتمع إسلامي وفق شريعة الله تبارك وتعالى . إن كل ماينشر في صحف الأطفال أو في كتبهم منقول ومترجم عن مصادر أجنبية وهذه المجلات العربية المصورة كلها مجلات أجنبية مكتوبة باللغة العربية بل إن قصص الأطفال الذائعة الشهيرة والعالمية تحكي مشاكل مجتمع أجنبي وهي معارضة تماماً لمفهوم الإسلام وليس فيها أي حديث عن مجتمع المسلمين أو تاريخهم أو أبطالهم ولاتعالج مشاكل مجتمعات المسلمين وقد تبين لمؤسسة التربية الصحية في شوبجارت بالمانيا الاتحادية نتيجة دراسة أجرتها بأن إفراط الأطفال في التفرج على التليفزيون يلحق بهم أضراراً جسيمة ويجمع الأطباء والإخصائيون في علم النفس أن التهييج المتواصل الذي يتملك الأطفال التفرج على التليفزيون مدة طويلة وعدم تفريقهم بين مايشاهدونه على الشاشة من أفلام بوليسية وبين الحقيقية يعمل على إلحاق الأضرار النفسية والجسمية بهم ، وقال العلماء أنه كثيراً مايترك الوالدان أطفالهم محبوسون مدة طويلة أمام التليفزيون مما يسبب التوتر وفقدان الهدوء وحدوث الأرق وقلة تركيز الفكر والصداع وألم العينين وقال العلماء أنه لايجوز ترك الأطفال يتفرجون على التليفزيون أكثر من ساعة في اليوم على أكثر تقدير وألا يتفرجوا أثناء ذلك إلا على البرامج المخصصة لهم ، وقد استندت مؤسسة التربية الصحية في التقرير الذي قدمته في هذا الشأن على نتائج التحقيق الذي قامت به هيئة محطات الإذاعة الألمانية قبل أشهر قليلة فقد تبين لها في ختامه بأن ١٥ ٪ من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ سنوات و ١٣ سنة وخمس الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من ٣ و ٧ سنوات يتفرجون على الأفلام البوليسية في البرنامج

المسائي ، هذا كما وجد أن خمس الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ و ٩ سنوات يتفرجون على التليفزيون أثناء تناولهم العشاء وأعربت المؤسسة عن قلقها بعد أن تبين لها أن الأطفال غالباً مايتفرجون على انفراد .

ولما كانت هذه الأفلام البوليسية التي يشاهدونها تخللها أعمال العنف والقتل وتثير الرعب فإنه يجب على الوالدين أن يكونوا مع أولادهم أثناء تفرجهم ليشرحوا لهم مالا يستطيعون هضمه ، ومن هنا فإن على قادة حركة اليقظة الإسلامية التنبه إلى هذه المحاذير والتقدم لمله هذا الفراغ بتقديم أدب الطفل الإسلامي القائم على تقديم البطولة الإسلامية إلى الطفل الذي يحب البطولة والمخاطر (من ١٢ - إلى ١٨) وأن يقدم معها مفهوم الإسلام للمثل الأعلى في الأنسان كرامة وخلقاً وسماحة وانتقالاً من الفردية إلى الغيرية ومن الذاتية إلى الجماعية ، وأن يدرس الطفل المسلم مفهوم رسالة الأنسان في الإسلام ومهمته على الأرض ومسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقي وعمله في إقامة المجتمع الرباني والتعرف على البشرية كلها بروح الإخاء الأنساني والنظر إلى الحياة نظرة جادة بعيدة عن الأساطير والأشباح والخرافات وعليه أن يعرف مدى التحديات التي تواجه المسلمين في هذا العصر لينشأ مسلحاً بالإيمان متجهاً إلى النضال والكفاح والمقاومة وحماية الثغور والمرابطة حتى يسترد وطنه وأرضه المغتصبة وتعود فلسطين وبيت المقدس للمسلمين .

وعلى هذه القصص أن تقدم باللغة العربية الفصحى بما يتناسب مع تدرجه في السن والتعليم وأن تبنى هذه القصص أول ماتبنى في الطفل الإيمان بالله تبارك وتعالى الخالق الرازق المتصرف وحده في الكون كله (الإله الخالق والآمر) فإن قيام هذا الإيمان في النفس هو الذي سيمكنه

من أن يفهم الإسلام بوصفه منهجاً جامعاً للدين والدنيا وللدنيا والآخرة ، وللروح والجسد وللعلم والدين وأن من شأن هذا أن يحرسه من أن يقع في أفساح النظرية المادية والعلمانية والإباحية ومغريات الحضارة المادية المنهارة .

حاشية : لقد كان واضحاً أن هناك مؤامرة حول الطفل المسلم تبدو واضحة هذه الأيام في فرض نوعية معينة من القراءة على مكتبات الأطفال وذلك بهدف حجب الكتاب الإسلامي والمفهوم الإسلامي .

وقد كشف الباحثون عن خطة صهيونية لتشويه صورة المسلمين في كتب الأطفال (وقد سجلت ذلك دراسة أعدتها مجموعة من علماء المسلمين) تشير إلى أن هناك خطة لتشويه صورة المسلمين في أذهان الطفل المسلم ، ومن هنا تلزم اليقظة ويلزم الانتباه حيث أن إسرائيل لاتحارب المسلمين فقط بقواتها المسلحة وعملياتها الإرهابية ولكن من خلال تسميم أفكار العامة مستخدمة في ذلك كل وسيلة حتى كتب المدارس ولاريب أن اعتماد وسائل التركيز في البلاد الإسلامية على مغامرات ميكي وتان تان هي جزء من الخطة وأنه يجب أن يقدم بدلاً منه سلسلة مصورة تكشف الحقائق للطفل المسلم وتثبت عقيدته حتى يستطيع أن يكبر وهو فاهم لكل ماحوله .

ولاأعتقد أن بلاد الإسلام في حاجة إلى خبراء في أدب الطفل يأتون من الغرب بمفاهيمهم المادية وعقيدتهم النصرانية واستعلائهم الحضاري الذي ينظر إلى شبابنا وأبنائنا في احتقار شديد ولاريب أن تصورنا أن تقليد أسلوب الغرب هو العمل الأمثل هو تصور خاطئ فإن وجهه الطفل المسلم تختلف ، لأنه طفل أريد له بالإسلام أن تكون له

مسئولية فردية وتبعه أخلاقية ووجهة فاهمة لمهمته في الحياة ولذلك فنحن في غنى عن تجربة الغرب وخبرائه في ميدان الطفل المسلم والغرب يعرف هدفه وهو تدمير الأجيال المسلمة الجديدة وإخراجها تافهة مدمرة نفسياً وأقل مافي التوجيه الغربي هو فقدان الانتماء الإسلامي .

الفصل السابع

الشباب المسلم

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

إن محاولة احتواء شباب الأمة الإسلامية وإخراجهم من أصول عقيدتهم ومفاهيمهم وقيم فكرهم ودينهم هي مؤامرة حقيقية مستمرة ضاغطة ما أعتقد أنها تتوقف يوماً ، ذلك لأن هناك خطة مرسومة ترمي إلى تغيير بنية الإسلام الحقيقية ، وذلك بتفريغها من مفهومها الصحيح والجامع الذي يقوم على أساس أن الإسلام يربط بين العقيدة ومنهج الحياة (المعاملات والأخلاق) بينما تتمثل كلمة (دين) في كثير من الثقافات والعقائد على أنها العلاقة بين الله تبارك وتعالى وبين الأنسان وهو مايسمى اللاهوت في الفكر الغربي .

هذه النقطة هي مصدر الخلاف الواسع في الفهم وفي التعامل مع الفكر الغربي وهي منطلق الدعوة المثارة عن العلمانية والفصل بين الدين والمجتمع ، أو بين الدين والدولة .

وقد وضعت القوى الأجنبية منذ وقت بعيد خطة عمل واضحة تتم عن طريق مؤسسات مختلفة أبرزها في مجال الشباب منظمة التبشير التي تعمل في مجالات ثلاث (الأول) المدرسة (الثاني) المستشفى (الثالث) الأسر الفقيرة المحتاجة إلى الطعام .

٢ - ولم يعد التبشير يعمل في مجال دعوة المسلمين إلى الدخول في المسيحية ولكنه يكتفي بالعمل على إخراج المسلمين من الإسلام عن طريق الاعتقاد بأنه متى زاغت عقيدته بالشكوك والشبهات لم يعد مسلماً وأنما أصبح حرباً على الإسلام وتأتي محاولة إثارة الشكوك والشبهات عن طريق التعليم والثقافة وفي البلاد التي لاتجري فيها عملية التبشير ظاهرة ، فإنها تختفي وراء التعليم في الأغلب من ناحيتين : (الأولى) من ناحية

المناهج المقررة التي تخالف عقيدة الإسلام أساساً (لنظرية دارون والعلوم الاجتماعية ومفاهيم فرويد وسارتر وغيره) التي تقدم للشباب المسلم على أنها علوم ليست في الحقيقة أكثر من نظريات وفروض قد تصيب وقد تخطئ لأنها من صناعة عقل البشر ، في مواجهة ظرف مافي عصرما ، فليست لها في الحقيقة صفة المفاهيم الثابتة القادرة على البقاء أو العطاء في كل العصور أو الصالحة للتطبيق في كل البيئات .

ولكل أمة ثقافتها وعقيدتها وأسلوب عيشها ، ومن ثم فإن العلوم الإنسانية ترتبط بهذه الثقافة والعقيدة ، ولما كانت العقيدة الإسلامية تختلف في جوهرها عن العقائد الأخرى من حيث ارتكازها على التوحيد الخالص ومفاهيم العدل والشورى والرحمة والإخاء الإنساني (على نحو يختلف اختلافاً واضحاً وعميقاً عن الاشتراكية والديمقراطية الغربيين) فإن العلوم الأنسانية كالأخلاق والنفس والإجتماع تختلف إختلافاً عميقاً

٣ - وهناك خطورة أخرى يتعلق بزيارات قيادات الشباب الغربي لبلادنا وزيارات شبابنا للبلاد الأوربية من حيث أن هذا الشباب (المسلم المسافر) ليست له خلفية إسلامية قوية تحميه .

إن الخطر كل الخطر في أن مناهج التبشير (التي يقوم عليها الإرساليات النصرانية في البلاد العربية (أمريكية وفرنسية) أو روسية ماركسية أو غيرها) تبشر بمذهب فكري معارض للإسلام بل هو مضاد للإسلام ، هذا المذهب منشور اليوم في كل كتابات الصحف والثقافة والمحاضرات والجامعات ، وأن مفهوم الإسلام السائد في نظر المفكرين والباحثين وكتاب الصحف هو (الإسلام المقصوص الجناح) الذي يقوم على جناح واحد هو العلاقة بين الله (تبارك وتعالى) والإنسان ، أما

الجناح الآخر الذي يمكن الطائر من القدرة على التحليق (وهو جناح العلاقة بين الأنسان والمجتمع) فهو محجوب ، مضبب ، مبعد ، منكر تماماً ومن هنا فإن قبول مفاهيم التعريب والغزو الثقافي في مجالات الاقتصاد والاجتماع والتربية واللغة والتاريخ هو نوع من أنواع التبشير (الخفي المستتر) وراء مناهج مغربه يقوم على قبول مفهوم إنشطاري ناقص بالنسبة للمجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية على النحو الذي جرت محاولات النفوذ الأجنبي فرضه منذ أكثر من قرن ونصف قرن .

وأن قبول الاقليمية والقومية الضيقة بديلاً للوحدة الإسلامية هو جزء من مخطط هدم شخصية الشباب وكذلك قبول العاميات التي تعمل على الفصل بين البيان القرآني العربي الفصيح وبين الأداء الكتابي المحرف ، هو أيضاً نجاح لمخطط التبشير وهدم شخصية الشباب المسلم واحتواء له .

أن أخطر مايواجه الأمة الإسلامية اليوم هو مسئوليتها إزاء أجيالها الشابة المؤمنة المنتجة التي تتراكم سحب كثيرة لحجبها وتحويرها عن هدفها واحتوائها ونقلها من مفهوم الإسلام الأصيل إلى مفهوم الإنشطارية الغربية .

وكذلك إلى هدمها أخلاقياً ونفسياً بإطلاق قوى التدمير والأباحية والفساد الأخلاقي (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) فهناك عملية حصار شديدة تعمل على تحطيم إيمان الشباب وتدمير القيم الأخلاقية كوسيلة إلى هدم الأمة وذلك ببث وسائل التحلل والإباحة والفساد التي ترمي إلى تدمير الأسرة والمجتمع وتغليب المطامع والأهواء وإزاحة الضوابط أمام عوامل المعاملات الاقتصادية والمالية وخلق روح الفتور

والانعزال عن المجتمع وقبول الحرام وازدارده على اعتبار أنه شئ مشروع وإسقاط فريضة الجهاد وإشاعة روح التراخي والتحلل والترف والأمن الكاذب بينما يتربص الخصم الحاقد على الإسلام وينتظر الفرصة لضرب ضربته بإسقاط الأمة الإسلامية في اتون الاحتواء الكامل ، إن توهين الالتزام الأخلاقي والمسئولية الفردية هي أخطر ما يوجه الآن إلى أجيال الشباب المسلم من أجل خداعها عن فريضة الإسلام في الجزاء والحساب وتقليد مفهوم الغرب عن مسئولية المجتمع وعن إطلاق حرية الأخلاق للانسان وهي مما يرفضهما الإسلام تماماً ولايقرهما .

إن مخطط العمل على تحطيم القيم الأخلاقية في الشباب المسلم كوسيلة إلى هدم الأمة الإسلامية وذلك ببث وسائل التحلل والإباحة والفساد (عن طريق الصحافة وأدوات الترفيه) إنما ترمي أساساً إلى هدم المجتمع وتحطيم الأسرة وتقليد الأنانية وإزاحة الضوابط أمام عوامل المعاملات الاقتصادية والمالية .

ويواجه الشباب المسلم اليوم معاناة خطيرة نتيجة فشل التجارب التي قدمها إليه قادته خلال مرحلتين متواليتين من مراحل حياته انتهيا بنتائج خطيرة ، إحداهما هزيمة ١٩٦٧ وسقوط القدس والثانية عزل مصر عن مكانها السياسي بمعاهدة كامب ديفيد . هذا الشباب الذي عانى من مرارة فشل التجارب في طرح تجارب القومية والعلمانية والاشتراكية التي مزقت وحدة الأمة الإسلامية .

إن على شبابنا المسلم أن يواجه الموقف في إيمان وحكمه وأن ينطلق في اعتدال ويقين صادق بقدرة الله تبارك وتعالى على النصر ، وأن يثبت في مواقع النضال دون أن يجنح إلى الانحراف أو الانفعال . وأن

يؤمن بأن الزمن جزء من العلاج وأن هذه الصحوة أمانة في أعناقنا يجب أن نحميها بالسماحة واليقين في نفس الوقت .

ولابد أن يعي شبابنا المسلم الأخطار التي تحيط بالوطن والمؤامرة القائمة ضد الإسلام نفسه كعقيدة من شأنها أن تنشئ أجيالاً من القادرين على حماية أوطانهم وعقيدتهم الفاهمين فهماً صحيحاً يجعلهم لايتطلعون إلى المغانم وإنما يقدمون التضحية بأنفسهم وأموالهم ليكونوا في رباط إلى يوم القيامة . وأن يكون شبابنا فاهماً لاتجاهات الريح غير غافل عما يدبره المتآمرون على هذه الأمة ، الراغبون في احتوائها والسيطرة عليها والحيلولة دون امتلاك إرادتها وإقامة مجتمعها الرباني الصحيح .

وعلى شبابنا أن يكون على وعي بمفهوم الإسلام الجامع بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع وألا يمكن أعداء الإسلام من الراغبين في احتواء هذه الأمة والسيطرة عليها من الترويج للمفاهيم الباطنية والمادية والعلمانية وإحياء الدعوات القديمة وإعادة كتابة مفاهيمها المضادة المسمومة بأسلوب شائق يخدع الشباب المسلم القليل الخبرة ، الذي ليست له أرضية واسعة في فهم مايراد بالإسلام منذ بدأت المؤامرة على يد عبد الله بن سبأ وكيف اتسع نظامها من بعد بمفاهيم وحركات القرامطة والزنج والباطنية وغيرهم فهم يجددون الحديث عن هذه الحركات الهدامة والدعوات الباطلة ويوسعون آفاق الحديث عنها ويغرون الشباب بما تفتحه أمامهم من مغريات تتعلق بإسقاط التكليف والاندفاع وراء الشهوات والمغريات التي تبيحها هذه الدعوات لإستقطاب الشباب وتحريفه عن دينه ويكون المنطلق دائماً من باب الحرية ، وتكون المرأة والحب هما الأدوات ، وقد صنعت الماسونية على هذا

النحو الذي يحقق كل أهداف هذه الدعوات الهدامة والفرق الضالة فلما تكشف هدفها انصهرت من جديد في دعوات أخرى كالقاديانية والبهائية وجاءت دعوات وحدة الأديان وادعاء النبوة .

إن المنطلق الوحيد للخطر على الشباب المسلم هو السذاجة وقصور النظرة والبساطة وسرعة التصديق وعدم تكوين خلفية إسلامية صحيحة وثيقة نتيجة العجز عن فهم الإسلام أساساً والجهل بالمخاطر والمحاذير والمؤمرات التي تدبر له والكيد الذي يتمثل في عشرات الصور والدعوات .

نحن نطالب الشباب المسلم بأن يفطن إلى مؤامرة الغزو الثقافي منذ بسطها لويس التاسع بعد هزيمة الحملة الصليبية في المنصورة ودعا إلى (حرب الكلمة) والتي امتدت في الماسونية والاستشراق والتبشير وندعوه إلى تعمق فهم الإسلام ومايدبر من الكيد له وأن يكون على حصانة من البريق والخداع والزيف مهما بدا وكأنه مشروع وقد أقبل عليه الناس فالمسلم الصحيح الإيمان قادر على ألا يحتويه فكر وافد ، ولايستسلم أمام مظاهر تختلف عن مفهوم الإسلام الصحيح مهما كان لها من قوة البريق أو اتساع المساحة أو كثرة الأنصار وأن يكون فاقها دائماً (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) .

ومهما تشعبت دائرة البريق الخادع فإنها لن تخدع المؤمن أبداً .
(يهديهم سنن الذين من قبلهم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الأنسان ضعيفاً) .

الفصل الثامن

المجتمع

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

إن أبرز معالم المجتمع الإسلامي هو أنه من صنع الإسلام نشأ بنشأته وتكون بتكوينه وأنه بني منذ اللحظة الأولى على الإيمان بالله وتحقيق إرادته في الأرض ، ومن هنا فقد دعا الإسلام إلى بناء الفرد أولاً ثم تشكل الجماعة من خلال الأفراد دون أن يفقد الفرد ذاتيته (وذلك خلاف مفهوم إعلاء الفرد في الليبرالية وإعلاء المجتمع وسحق الفرد في الشيوعية) .

أما الفرد في الإسلام فهو فرد وهو في نفس الوقت عضو في جماعة فهو يتحرك بين الفردية والجماعية دون أن تفقد ذاتيته وإنما يصبح قادراً على التسامي فينتقل من الأنانية إلى الغيرية ومن تحقيق مطامعه الخاصة إلى رعاية الجماعة والتضحية من أجلها .

فالإسلام ينظر إلى الأنسان على أنه أعظم الأحياء وهو سيد الكون تحت حكم الله ، والرجل والمرأة متساويان في الحقوق وللرجال على النساء درجة هي درجة القوامه التي هي أدخل في باب الحماية والرعاية ، ومنهما تتكون الأسرة التي هي البناء الحقيقي للأمة وقد جاء الإسلام بأقوى عقيدة توازن بين الفرد والجماعة إذ تقوم الرابطة على أساس التكامل والتعاون والإنفاق والتضحية .

وبذلك فالمجتمع الإسلامي يمثل طرازاً فريداً من التعاطف الأنساني حيث يقوم على أمرين أساسيين :

الأول : التعادل بين جانبي الفرد (الروح والمادة) .

الثاني : التوازن بين الفرد والمجتمع .

فالفرد يتكون من جانبين متقابلين أو متنازعين ، يتكون من الإيمان

الذي يوحي إليه بالاعتدال ومن الهوى الذي يوحى إليه بالتطرف (وهديناه النجدين) ويتكون من وجدان وعقل ، ومن هوى وإيمان ومن روح وجسم كل منهما يتجه إلى مصدره : الروح إلى الملأ الأعلى والجسم إلى الأرض فالإسلام يدعو إلى التوفيق بين شطري الإنسان ثم يعد الأنسان بهذا التسامي أن يكون في خدمة الجماعة ويعمل الأنسان الممتاز إلى درجة البذل والتضحية والفداء ، والإسلام يقر طبيعة الأنسان على حقيقتها (مادية وروحية) وبذا لايحول بينه وبين رغائبه من متاع الحياة المادي ولكنه يحيط ذلك بضابط يجعله أقرب إلى الاعتدال وأبعد عن الاعتداء على حقوق الآخرين .

ثم يدعو الإسلام الرجل المسلم إلى إقامة الأسرة كمنطلق لإكمال دينه من حيث تنظيم رغائبه وغاياته عن الطريق الصحيح فإذا هو أقامها دعاه إلى إقامة التوازن بين الأسرة الكبرى والأسرة الصغرى (وبالوالدين إحساناً وبذي القربى) ويدعوة إلى الاتفاق بين الأهل والجار ومنها إلى اليتامى والمساكين وكل من يتصل به وهكذا يقدم الإسلام أعظم نموذج للمجتمع الأنساني السليم .

ونحن نجدنا اليوم وقد زحفت مفاهيم خطيرة من المجتمعات الغربية تحاول أن يقتلع قيمنا وهناك دعوة ملحة إلى التبعية تفرضها الأنظمة المتداخلة وخاصة فيما يتعلق بأمور الاستهلاك الوافدة ومايرتبط بها من عمليات الاقتصاد الربوي وغيره فضلاً عن أخطار الفنون الوافدة عن طريق المسرح وأدوات الترفيه .

وفي ضوء هذه الحملة الزاحفة لنا أن نتساءل ماذا يتطلب نمو المجتمعات وتقدمها واستمرار حركتها حتى لاتقع في أزمة التخلف

والجمود ، هل هو يتطلب التخلص من كل مقومات الثبات في المجتمعات على طريق الحركة الحرة التي لاترتبط بأي ضوابط أو نظم والتي ترى أن الأخلاق والقيم تتغير بتغير البيئات أو تتطور بتطور المجتمعات بحيث لايقيد المجتمع أي مقدماً مهما كان .

الواقع إننا كمسلمين لانقبل نظرية الغرب التي تقول أن تحرك المجتمع من خلال ثوابت (الدين والأخلاق) يؤخرها ويعيق حركتها ويحول بينها وبين التقدم ويجعلها تتخلف عن ركب الحضارة .

وتؤمن إماناً وثيقاً بأن ضوابط المجتمع التي وضعها الدين الحق - ووضعها الإسلام أساساً - وفي مقدمتها قيم الأخلاق وكونها من المقررات الثابتة لايمكن أن تعيق حركة المجتمع ولاتقدمه ، لأنها تحميه من التمزق والاضطراب أو الانهيار أما العوامل التي تعيق حركة التقدم في المجتمع من أمثال العادات أو الأعراف أو التقاليد التي تنشأ نتيجة أوضاع المجتمعات نفسها فإن الإسلام يدعو إلى التخلص منها وتجاوزها وفي مقدمتها عوامل الترف والانحلال وانهيار الأسرة وغلبة الشهوات والمطامع والدعارة ، كل هذه يحاربها الإسلام ويقاومها في سبيل حماية المجتمع واستبقائه في مجال الحركة والقدرة على العمل والكسب الحلال وحماية تكوينه من الانهيار تحت تأثير الخمر والبغاء والصراع الداخلي .

ولقد كانت المجتمعات الإسلامية قادرة دائماً على التحرر من أخطار الانحراف والعودة مرة أخرى إلى المنابع والتماس مفهوم الإسلام في المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي .

وكذلك فإن الإسلام لايقبل التضحية بالضوابط والحدود التي أقامها لحماية المجتمع وتحصينه من خطر الانهيار والتفكك ، لايقبل التضحية

بذلك من أجل مفهوم التقدم الغربي أو الماركسي المطلق الذي يضحي بالقيم الروحية والأخلاقية في سبيل الوصول إلى التقدم المادي وحده .

ونحن في هذا المجال لانقبل النظرية الغربية في نسبية الأخلاق ولا التطور المطلق للمجتمع ، ولانقر تغير ثوابت الأخلاق بتغير أحوال المجتمع أو عصورها ونرى أنها من العوامل الأساسية في انهيار المجتمع الغربي وفساده واضطرابه . والمسلمون لايضحون سلامة ذاتيتهم الإسلامية القرآنية وضوابطها وأوضاعها التي قررها الإسلام في سبيل الحصول على أي عطاء مادي مهما بلغ قدره ، وعندما تكون هناك مفاصلة بين التقدم المادي وتضحية القيم فإن المسلمين يرفضون هذه النظرية تماماً ، هذا مع العلم بأن التقدم الجامع في مفهوم الإسلام الذي يراوح بين المادة والروح لايتطلب التضحية بالقيم أو تجاوز الضوابط والحدود .

ويقرر كثير من الباحثين المعاصرين أن نزول القرآن الكريم كان بمثابة البداية الحقيقية لوضع نسق فكري شامل يتعلق بالحقيقة الاجتماعية فقد تضمن القرآن أول إطار لتنظيم الحقائق المتصلة بمختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية والعقلية باعتبارها أسس كليه ذوات معنى .

هذا المجتمع الإسلامى الذي يمثل نموذجاً متعدداً من الشكل الذى رسمه القرآن الكريم هو اليوم موضع التآمر من قوى كبرى من أجل هدمه وتدميره حتى لا يكون عامل قوة أو إسعاد للبشرية التي ارتكست فى المادية .

وتجري عملية الهدم من طريقين :

الأول : تدمير الشباب المسلم وإفساده وإغرائه بكل الوسائل من

أجل تحطيم قوته ومقاومته (ويجرى ذلك وفق مخططات خطيرة) باحتوائه بالإباحية والخمر والمخدر والإفساد والتدمير وإدخاله في دوائر خطيرة من تجمعات الشباب العالمي للقضاء على تميزه الروحي والمعنوي في محيط إباحي وثني غربي خطير دون أي حماية خلقية أو سناد روحي .

الثاني : العمل على تحديد النسل تحت اسم عبارة خطيرة خادعة هي عبارة (الانفجار السكاني) وتقديم معونات ضخمة للدول لتحديد نسل أهلها بعد التضييق عليها اقتصادياً وإيقاعها في براثن الاستدانة مع أنها تملك من المقدرات مايحميها من كل هذه الشرور .

الثالث : تدميره ثقافياً بفرض نظريات خطيرة تتعارض مع مفاهيمه الإسلامية في مقدمتها نظرية دارون ونظرية فرويد ونظرية دوركايم وتقديم الإسلام إليه على أنه دين عبادي لاهوتي وليس منهج حياة ونظام مجتمع .

رابعاً : ظاهرة انتشار الكتب الجنسية التي تباع على الأسوار بأسعار رخيصة لها عناوين خطيرة (نداء الجسد - رغبة الأنثى - لن أخلع ثوبي - لن أقول لا) .

ومانقدمه هذه الكتب ليس مفهوماً صحيحاً للجنس ولكنه مفهوم دخيل ومشوش يحاول اختراق الشباب الغض ويلفته إلى ميادين خطيرة تحطم كيانه النفسي والجنسي وتدفعه في محيط مظلم وهو نوع من الدعارة الفكرية وترويج تجارة الجنس مما يسمى أدب الفراش (الذي عرف به إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ) وتكتب في هذا المجال أسماء لامعة وتوزع جوائز ومن حوله بريق خطير .

وإننا من أجل علاج ظواهر انحراف المجتمع اليوم وظاهرة العنف الواضحة علينا أن نبدأ بخطة إصلاح أساسية قوامها :

أولاً – إعادة رسم خريطة مسئولية الآباء والأمهات وتقليل المشغولية الخارجية وخاصة للأم والتركيز على الدور الأساسي في حماية الأطفال .

ثانياً – إعادة تشكيل برامج التعليم وإحياء مفهوم القدوة .

ثالثاً – إعادة النظر في برامج البث والتسلية (وتحريرها من الجنس والجريمة جميعاً)

رابعاً – تكوين الأبناء على الإيمان بالله والمحافظة على حدوده .

خامساً – تخفيف عمليات الثراء الفاحش في مواجهة متوسطي الحال (سواء في المظاهر العامة أو المعروضات التليفزيونية) .

سادساً – وضع الحدود والزواجر الإسلامية موضع التنفيذ .

سابعاً – إفساح الطريق للشباب أمام ملء فراغه النفسي والديني والاجتماعي على نحو إيجابي كريم يرتفع به .

ثامناً – تيسير الحياة الاجتماعية بحيث يمكن الشباب أن تقبل على الزواج في سن مبكرة ولايظل معلقاً .

تاسعاً – تخفيف مظاهر الانحراف في الصورة الإجتماعية التي تهز نفسية الشباب بمظاهر العرى والانحراف والزحام في الأتوبيسات .

حاشية (١) : تجلت في السنوات الأخيرة ظاهرة أسلمة العلوم والمناهج وبالنسبة لعلم الاجتماع أشار دكتور محمد كمال إمام في بحثه عن أسلمة علم الاجتماع إلى أن العالم الباكستاني (بشارات على) استطاع الوصول إلى تصور إسلامي لعلم الاجتماع مستمد من القرآن الكريم وقال : إن القرآن الكريم كان البداية الحقيقية لوضع نسق فكري

شامل يتعلق بالحقيقة الاجتماعية .

ولقد تضمن القرآن الكريم بوصفه كتاباً أنزل إلى البشرية جمعاً أول إطار لتنظيم الحقائق المتصلة بمختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية والعقدية باعتبارها كتابات كلية ذوات معنى ولم يضع القرآن الكريم الفكر الاجتماعي داخل إطار منظم فحسب ولكنه صاغ الأساس القيمي الأكسيولوجي للمعرفة الاجتماعية ككل بحيث أخذ مفكرو الإسلام في ضوء تعاليم القرآن الكريم ومبادئه ينطلقون نحو بحث ودراسة مختلف فروع المعرفة واستطاعوا أن يصوغوا نسقاً جديداً من المعرفة أطلق عليه (علم المجتمع) .

ولقد كانت إسهامات العلماء المسلمين في هذا المجال هامة بل أن النشأة الأولى لعلم الاجتماع بدأت فعلاً على يد ابن خلدون وليس أوجست كونت ولم يكن ابن خلدون علماً مفرداً لاسابق له ولا لاحق كما تصوره المستشرقون لإبرازه كاستثناء وليس دليلاً على إبداع العقل الإسلامي فقد كان ابن خلدون مسبوقاً بالكثير من أمثال الإمام الغزالي وابن رضوان (في الشهب اللامعة) وجاء إلينا من بعده كثيرون لعل أشهرهم ابن الأزرق صاحب بدائع السلك وهو أعظم من كتبوا في علم الاجتماع السياسي في الأجيال التالية لابن خلدون ثم المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي الذي لايزال مغبوناً في تحليل دوره في علمي السياسة والاجتماع إذ أضاف إضافات مهمة تجاوز بها أستاذه ابن خلدون .

وقد كشف بشارات على في كتابه (علم الاجتماع في ضوء القرآن) كل جوانب هذه المساهمات سواء في النصوص الإسلامية أو من خلال المفكرين الإسلاميين بالرغم من أنه اعتمد على مفاهيم ومصطلحات ، إلا

أنه استطاع بذوقه الإسلامي وثقافته في التراث الإسلامي أن يفتح الطريق أمام الباحثين للوصول إلى أصول علم الاجتماع الإسلامي .

حاشية (٢) : لخص بعض الباحثين أخطار المجتمع الإسلامي في العناصر التالية :

أولاً : محاولة إسقاط الفرد في سبيل إعلاء المجتمع ومحاولة إسقاط الأسرة على حساب المجتمع والقول بأن القيمة كلها للمجتمع الذي يتنكر للأديان والعقائد والقيم الروحية .

ثانياً : القول بأنه لاعلاقة بين اللباس والأخلاق وأن الشهوات لاتستثار بالتبرج .

الفصل التاسع

التراث

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

ظل التراث الإسلامي على مدى العصور الماضية مهدداً إما بالتدمير أو السرقة أو الإنكار فهو محجوب عن أهله بعد أن طمع فيه الغرب ونقله إلى بلاده واستصفى كل مافيه من علوم وشرائع وحكم ثم هو اليوم يقف منه غريباً غاية الغرابة وذلك من خلال ادعاءين فهو – أي التراث – إما ترجمة المسلمون عن الفكر اليوناني وإما أنه بضاعة غربية كتبها المسلمون بعد أن تأثروا بالفكر القديم .

وهم في دراساتهم الحديثة يحاولون فصل حاضر الفكر والأدب والثقافة العربي الإسلامي عن الماضي كله وإلحاقه بالتيارات الوافدة من الفكر الغربي فقد بدأت المحاولة بالنظر إلى الماضي الإسلامي كله بازدراء سواء من ناحية الأسلوب والأداء أم ناحية المضامين وقد فرضت على الدراسات القديمة مناهج الغرب المادية واستحلت فكرة العنصر حيث أعادوا الكتاب والعلماء إلى عناصرهم القديمة كان يقال أن سر تفوق ابن الرومي أنه رومي الأصل وسر تفوق الغزالي أنه فارسي والثالث تركي وهكذا ، وذلك في محاولة لإنتقاص الأصول العربية وفي مغالطة لإنكار الحقيقة الأساسية التي تؤكد أن الإسلام نفسه وليس العناصر الخاصة بالعروق والأجناس هي التي شكلت ثقافة هؤلاء المفكرين .

ثم أخذت النزعة الغربية تنظر إلى هذا التراث نظرة أخرى أشد خطورة ، وهي اعتبار العناصر التي تتصل بالتبعية هي العناصر الأكثر تفوقاً ، مع إبراز التابعين للفلسفة اليونانية أو الاعتزال أو التصوف الفلسفي بإعتبار أن هؤلاء من أولياء الثقافة الغربية .

أما دعاة الأصالة والتماس المنابع والمحافظة على الذاتية الإسلامية

فقد وضعوا في إطار التجهيل والتعتيم ومؤامرة الصمت ثم امتد القول بأن الدعوة إلى إحياء التراث هي دعوة رجعية ومتخلفة وأن أصحابها يريدون إعادة التاريخ القهقري ، وإذا تحدث المسلمون من مواقف تاريخية وبطولات بارزة قالوا : إنهم يريدون أن يخضعوا الحاضر للأموات .

وهكذا كانت محاصرة الأصالة حتى لاتستطيع أن تشق طريقها وتنصب راياتها ، ولكن هذه المحاولات قد سقطت كلها واحتاج التغريبيون إلى البحث عن مؤامرات جديدة .

وكان أخطر مايقال : هو أن القديم كله تراث على مفهوم الغرب القديم دون التفرقة بين الأصول الأصيلة للإسلام (القرآن والسنة) التي ليست بمثابة تراث لأنها من عند الله ، والتي يجب أن تمتاز عن مفهوم التراث الذي هو العمل الأنساني والبشري في تفسير الميراث الرباني والنبوي .

ولما كانت هذه الدعوات تصدر من عقليات مادية الفكر مرتبطة بتاريخ الكنيسة والغرب فإنها حين تضع الفكر الإسلامي موضع المشابهة أو المقارنة تخطئ خطأ كبيراً لعدة عوامل وأسباب منها : تميز مفهوم المسلمين للوحي والنبوة والرسالة المنزلة في الإسلام ، مما يختلف تماماً عن مفهوم الغرب الذي يخلط بين الإلوهية والنبوة من ناحية ويرى أن الكتب المقدسة ليست من السماء وإنما هي أقوال حواري الأنبياء ومن عمل البشر .

ولقد تبين للمسلمين من بعد مدى خطورة التراث ، هذه الخطورة التي تدفع القوى التغريبية إلى محاولة عزله أو إسقاطه أو تشويهه أو إحياء الزائف منه على النحو الذي قام به بعض من كتبوا (على هامش السيرة)

و (الفتنة الكبرى) وكتابات عبد الرحمن الشرقاوي عن سير الصحابه والخلفاء (سواء على منهج الغرب في تفسير التاريخ أو منهج الماركسيين) .

إن التراث والتاريخ لايزالان عدوين شديدي الخطر بالنسبة للغزو الفكري فهو يحاربهم حرباً لاهوادة فيها لإيمانه بقدرتهما على العطاء في بناء النهضة ولفضلهما في رفع الروح المعنوية وبناء الثقة في نفوس الشباب .

ومن هنا تجري تلك المحاولات الخطيرة لعرض التراث والتاريخ من وجهة نظر النظرية المادية أو من جهة نظر إحياء الفكر الوثني والباطني القديم وإحياء الفرق القديمة والخلافات التي كانت بين الفرق والصراعات التي ماتت ودفنت منذ زمن طويل .

والواقع أنه لم تنل قضية من التزييف والتموية قدر مانالت قضية (الربط بين الماضي والحاضر) في الإسلام بينما هي قضية واضحة كل الوضوح في الغرب حتى أن الحضارة الحديثة كلها تنتمي إلى حضارة الرومان واليونان ولاتضيق بهذا الانتماء بينما إذا ذكر الإسلام كانتماء للثقافة العربية المعاصرة نظر إليه في شئ غير قليل من الامتهان والتشكيك بل أنه حين يدعى إلى الإسلام لايجيب بينما عندما يدعى إلى ماقبل الإسلام كالفرعونية والبابلية والأشورية وغيرها يجد تقديراً وترحيباً

ولقد كانت قضية الربط بين القديم والجديد والماضي والحاضر قضية أصولية حتى في مجال العالم التجريبي نفسه ولكنها حين تطرح في أفق الفكر الإسلامي تجري المحاولات لإثارة الشكوك حولها وتجد عبارات السلفية والقديم البالي والجمود هي العبارات الغالبة في وصف

التراث والتاريخ دون النظر إلى الفوارق البعيدة بين ماضي الأمم الأوربية التي لم تتشكل إلا على الأساطير والخرافات التي لايقرها العقل ، ولايرضاها الخلق الكريم ، بينما لاتجد في التراث الإسلامي إلا صورة السمو والإيمان والعفاف والكرامة .

وإذا كنا نفرق بين (الميراث) الذي هو (القرآن والسنة) وبين التراث الذي هو من عمل العلماء والفقهاء في تفسير أحكام الإسلام وشريعته وعلومه فإننا لانجعل هذا التراث مطية للاستهانة أو الامتهان فقد أورثنا تراثاً يختلف اختلافاً واسعاً وعميقاً عن تراث الغرب كله ، بل إنه لايمكن أن يوزن بشئ منه فقد أورثنا الآباء تراثاً حافلاً من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون ومنجزات ثقافية وحضارية ومادية لا حد لها .

وإن كان يمكن أن يدخل في هذا التراث بعض ماأثاره المخالفون من مفاهيم زائفة وقضايا مضطربة جاءت نتيجة اختلاط تراث الإسلام بالفكر الفلسفي الذي قام بترجمته النساطرة وخب فيه ووضع أمثال ابن سينا والفارابي وابن عربي والحلاج وغيرهم وكل هذا فكر زائف يجب أن ينحي حين يذكر التراث الإسلامي الأصيل ولكن يجب أن نذكر أيضاً بأن الأبرار من علماء المسلمين واجهوا هذه السموم وهذا الزيف كله وردوا عليه وكشفوا فساده ، ودحضوا سمومه وقالوا عن أصحابه أنهم ليسوا على طريق الإسلام ولكن هم مع المشائين اليونان في ضلالهم وفساد وجهتهم .

ومن هنا فإنه من الزيف أن يتدخل التغريبيون في هذا التراث بالانتقاء أو التحوير ليجعلوه مبرراً لواقع حياة المجتمعات الإسلامية اليوم التي انحرفت عن منهج الله ، أو محاولة الادعاء بأن مرونة الإسلام قابلة لأن يكون متقبلاً لقيم خارجة عن الأصول الإسلامية أو عن الحدود التي

وضعها النظام الإسلامي .

إن هناك مجموعة حقائق حول التراث الإسلامي :

أولاً : أن الأوربيين في غزوتهم الاستعمارية سرقوا التراث الإسلامي ثم منعوه من المسلمين ثم أثاروا حوله الشبهات مرة بمؤامرة الصمت ومرة بانتقاصه والتشكيك في عطائه .

ثانياً : عملوا على إحيائه فأحيوا منه الفكر المعتزلي والباطني والجبري والصوفي .

ثالثاً : عملوا على إعادة كتابته بأقلام مسمومة .

رابعاً : عملوا على حجب التراث الإسلامي الأصيل والاهتمام بالتراث الزائف .

خامساً : فرضوا عليه التفسيرات الاستشراقية وهاجموا شخصياته البارزة أمثال : الغزالي وابن تيمية وابن خلدون والمتنبي .

سادساً : أعادوا إحياء القرامطة والزنج والباطنية والمزدكية وغيرها من الدعوات الباطلة .

سابعاً : أدخلوا عنصر الأساطير إلى السيرة النبوية على النحو الذي قام به طه حسين في كتابه على هامش السيرة .

ثامناً : عمدوا إلى التشكيك في قيمه الإسلامية (شكك لامنس فى قدر اللغة العربية والقرآن وشكك جولد زيهر في الفقه والأحاديث النبوية .

وجملة القول أننا عندما نفتح صفحة التراث يجب أن نكون واعين لأمرين أساسيين :

أولاً : أن هناك تراثاً أصيلاً ، وتراثاً زائفاً .

التراث الزائف هو الذي يتعقبه المستشرقون وأصحاب الأهواء من أجل إشاعة آرائه المسمومة وأفكاره المنقوضة .

هو تراث التبعية الذي نشأ في ظل الفلسفات التي ترجمت واستأثرت بإعجاب بعض المفكرين ولم يتبين لهم مافيها من مغالطات ، أنه تراث الفرق والتحلل والباطنية ومصدره أساساً الفكر الهليني الذي جمع سموم الفكر المادي والإباحي والفكر الغنوصي الشرقي الباطني القديم .

ثانياً : أننا يجب أن نتناول التراث ولنا هوية ومنطلق إسلامي وتفسير قائم على مفهوم التوحيد وأن نتحرك في دائرة الأطروحة الأساسية : مذهب أهل السنة والجماعة .

ولنعلم أن الاستشراق قد لعب دوراً خطيراً بالنسبة للتراث وتزييفه وتفسيره ودعا أتباعه إلى إعادة صياغته على نحو مضلل كما فعل طه حسين وعبد الرحمن الشرقاوي .

وقد حاول العنصر المادي إخضاع التراث لرؤية علمانية أو قومية أو ماركسية كما حاول تشويه الوجه المشرق للفتوحات الإسلامية ، ومنها محاولة تصور (حرب الردة) على أنها حرب سياسية بين متخاصمين على الملك والسلطان (ولايعقل أن يقال أن قتال الخليفة الأول أبو بكر الصديق لمسيلمه أو الأسود العنسي أو سجاح أو مانعي الزكاة كان قتلاً على الملك وإنما على سبيل الدفاع عن العقيدة أساساً) .

الفصل العاشر

الحضارة

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص.ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

الحضارة الإسلامية وفق مفهوم أصيل قوامه :

قامت ١ - ستحلاف الإنسان في الأرض في سبيل إقامة المجتمع الرباني ، المتمثل في المسئولية الفردية والالتزام الاخلاقي .

٢ - إقامة العبودية لله تبارك وتعالى وحده وإلغاء العبودية للوثن أو عبودية الإنسان للإنسان .

وبذلك كان أبرز مافي الحضارة الإسلامية القضاء على (الرق) الذي كان قاعدة أساسية في بناء الحضارات اليونانية والرومانية والفرعونية والفارسية والهندية .

٣ - قدم الإسلام للبشرية منهج التجريب الذي فتح أمام الحضارة الآفاق الواسعة لكشف مذخور الأرض والانطلاق في الفضاء ، فالمسلمون هم الذين كشفوا عن هذه العلوم التجريبية والطبيعية والفلكية والحسابية والرياضية ووضعوا قاعدتها الأساسية التي بني عليها العصر الحديث .

٤ - جمع الإسلام بين القيم المادية والقيم الروحية في نسق متكامل وجعل لكل قيمة وجهها المادي والروحي ، وفي مفاهيم التقدم والتجديد والتحديث والعمران جعل التكامل بين المادة والروح أساساً ، ودعا الإسلام إلى تكامل العناصر والعدل بين العناصر ، وقد استمد ذلك من بناء الإنسان نفسه (قبضة الطين ونفخة الروح) فإذا استعلى عنصر على عنصر كان ذلك علامة على اضطراب الحضارة .

٥ - جعل الإسلام العمل عبادة ودعا إلى التوسط وحذر من الترف والسرف والدعة ويحذر من الانخداع بالأمن الوهمي وحرض على الإعداد

(وأعدوا) وعلى المرابطة في الثغور وعلى الحذر من مباغتات الأعداء وعلى القدرة الدائمة على الردع حتى لاينفذ العدو إلى أى موقع فى الوطن الإسلامي أو السيطرة عليها .

٦ - دعا الإسلام إلى المحافظة على الأصالة والعودة إلى المنابع واستمرار قيام الذاتية الخاصة الفارقة عن الأمم والحضارات وقدم ذلك على التقدم المادي بل لقد جعل ذلك أساساً لحركة التقدم .

ومن هنا فإن المسلمون اليوم مطالبون بتحديد قيم حضارتهم فإذا استخدموا العلوم التجريبية فإن عليهم أن يصهروها في إطار فكرهم وعليهم أن يؤمنوا بأن استيراد التكنولوجيا من الخارج دون قيد سيكون عاملاً خطيراً في فقدانهم ذاتيتهم وتميزهم الخاص ، ولقد كان علماء المسلمين يقررون دائماً أن كل مايستقدمه المسلمون يجب أن يكون بمثابة مواد خام حتى لايؤثر في استقلال ذاتيتهم أو صهرهم في بوتقة الآخرين

ولن تستطيع الحضارة الإسلامية (الجديدة) أن يستقيم أمرها إلا إذا تحركت في إطار العبودية لله تبارك وتعالى وتحقيق إرادته العليا بتكوين المجتمع الرباني الخالص ، الذي يجعل من معطيات القرآن الكريم حقاً لكل أهل الأرض وليس من حق فئة خاصة تستعلى به على الفئات الأخرى .

ولابد أن تتحرك حضارة الإسلام في دائرتين : علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالكون وأن تقيم الدائرتين على قاعدة عبودية الإنسان لخالق الكون من خلال التعامل الأصيل وفق شريعة الإسلام وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله (كما قال ربعي بن عامر في وجه رستم) .

وفي الوقت الذي يحث الإسلام فيه على العمل واستغلال الأرض والصيد والزراعة يدعو الإنسان أن يزهد في الدنيا ويجعلها متاع الغرور ليبغي هو القائد للأشياء والموجه لها وحتى لاتجعل الدنيا قلبه فتعود به إلى الشر .

ولقد جعل الله تبارك وتعالى للحضارة كما جعل للأمم قواميس وسنناً تحكم حركتها وهي عوامل صدق إسلام الوجهة لله في السعي والعمل والعمران بعيداً عن الحرام والربا والترف والتحلل ، والظلم ، وفي دائرة الزكاة والحلال ، فإذا تخلى المسلمون عن ذلك بالظلم أو الترف أو بهما معاً كان ذلك عامل سقوط الحضارة وانهيارها .

وقد سقطت حضارات الفراعنة والرومان والفرس واليونان بهذين العاملين (الظلم والترف) وكان نظام الرقيق الذي ابتدعه الرومان من أبشع الأنظمة التي عرفتها الحضارات ورافقها في ذلك نظام استبداد الملوك والأباطرة الذين يجلسون في القمة ويقف الشعب كله في السفح ينتظر فتات موائد الأمراء والمترفين .

فلما جاء الإسلام حرر سكان الشام ومصر وأفريقيا من ظلم الرومان الذي امتد أكثر من ألف عام وفتح الطريق أمام العدل والرحمة وحرر الشعوب من العبودية : حرر الإنسان من ظلم الإنسان وحرر الإنسان من الوثنية فكانت الحضارة الإسلامية نوراً وضياء من العدل والرحمة حمل العدل إلى الأمم ولم يفرض عليها عقيدته .

ومن ثم انطلقت الحضارة إلى أوربا غير أن الغرب أخذ علومها ومنهجها التجريبي وصاغه في دائرة مفاهيم العبودية القديمة ووضعها في صور جديدة .

وأنكر التوحيد والغيب والوحي والنبوة وصاغ حضارة علمانية قامت على الفلسفة المادية ومن ثم فقد مضت في نفس طريق الحضارات القديمة باستعلاء الظلم والترف ومن ثم فقد أوردت نفسها مورد الانهيار والتدمير لأنها تجاهلت البعد الإلهي والبعد الأخلاقي فضلاً عن أنها تنكرت لعطاء الحضارة الإسلامية في إنشاء القاعدة العلمية التجريبية ثم قامت بأكبر عملية نهب في تاريخ البشرية كلها إستمرت أكثر من ثلاثة قرون في مؤامرة ماكرة ترمي إلى أن يظل المسلمون في محاصرة وتبعية وأن يظلوا محجوبين عن العلوم المتقدمة ليظلوا قائمين في مرحلة الضعف والتخلف والتبعية .

ومن يراجع تطور الحضارة الغربية يجد أن هناك تواطؤاً عامداً على محو الحضارة الإسلامية وإزالة كل مايذكر بها بحيث مايكاد يتحرر كاتب من ربقه التبعية ويجهر بالفضل لذويه حتى تجد كتائب من الأقلام من الحاقدة تتصدى له وتنسف رايته .

وقد يتصدى لذلك نفر من المبشرين والقسيسين ليسوا ثوب المستشرقين يدعون أنهم من أهل البحث العلمي ويحرفوا الحقائق السافرة عن الإسلام والقرآن ومحمد ﷺ ، وقد استطاعوا أن يكونوا فريق عمل من أبناء العرب والمسلمين ، أشد حماساً للمغالطة والهموم وأكثر حقداً على الإسلام بعد أساتذتهم .

وقد كشف جارودي وغيره فساد الأكذوبة التي يرددها الغرب وهي أن حضارته بدأت من ايطاليا وقد تبين بمالا يدع مجالاً للشك أنها بدأت من الأندلس .

وقد اعترف الغربيون أنفسهم أن موقعة بلاط الشهداء التي يشيد

بها بعض المتعصبين من المبشرين ، هي التي أخرت الحضارة الغربية ثمانية قرون وأن الأوربيين لو كانوا قبلوا المد الإسلامي بقيادة عبد الرحمن الغافقي الذي دق أبوابهم لتقدموا سريعاً ، وقد اعتبروا كارل مارتل وجولته نصراً مؤزراً وهي في الحقيقة هزيمة ساحقة بشهادة أعلام المؤرخين المنصفين .

قال كلوب فاير : لقد حدثت عام ٧٣٢ م فاجعة ربما من أشأم الفجائع على الأنسانية في العصور الوسطى هي الانتصار البغيض الذي ظفر به على مقربة من (بواتيه) أولئك البرابرة المحاربون من الأفرنج بقيادة شارل مارتل على كتائب العرب المسلمين التي كان يريد أن ينقذها الإسلام العمراني المتسامح .

وقد كتب كثير من الأوربيين يكشفون عن ظلم أهلهم لمسلمي الجزائر وماقاموا به من فظائع - ووازن بيرلوتي بين همجية جنود الاستعمار وبين أهل أفريقيا ليثبت أن هؤلاء البدائين لهم من تقاليد الرحمة والمودة ماليس للأوربي المتحضر ، وكذلك فعل جارودي بإحصاء مظالم هؤلاء الذين كونوا الامبراطورية .

كذلك فقد كشف كثير من الأوربيين عن كرم العربي وحمايته لمن يلوذ به من السائحين الأجانب ورعايتهم مستمداً ذلك من عقيدته الإسلامية السمحة .

وكذلك ماكشف عنه الباحثون الأوربيون من فساد حركة الحضارة الأوربية اليوم بما تؤدي إلى كارثة محققة في سبيل المطامع المادية بعيداً عن كل قيم الأخلاق والشرف ، وحيث ينفق ألف مليار من الدولارات سنوياً على الأسلحة يموت خمسون مليوناً من البشر من الجوع .

ولقد درس كثير من الباحثين مستقبل الحضارة الغربية في ظل الانحرافات التي وقعت فيها والتقدم المادي المذهل بينما حجبت عنها جانب الروح والغيب والمعنويات واستشرى فيها جانب المحسوس ، وتصرفت وكأنها ليست في حاجة إلى توجيه الدين أو قيم الاخلاق .

لقد تنبأ (اشبنجلر) منذ وقت بعيد بأفول الغرب وسقوط الحضارة الغربية وقال أنه حق عليها أن تموت كما ماتت الحضارات السابقة وإن الحضارة أسيرة مصيرها وأن الأزمة التي تعانيها الحضارة اليوم هي أزمة روحية بالدرجة الأولى وأن المدنية الغربية اليوم تشيع الاضطراب والقلق في نفوس أبنائها حيث يتحول الإنسان إلى كائن مادي يطمح إلى الربح الفوري ، لهذا فإن مثل هذا الإنسان هو فريسة دائمة للانتهازية يستغرب التضحية ويستهجن العطاء ويسخر من كل عمل لايحقق له ربحاً فورياً ومثل هذا الإنسان لايمكن أن يكون لبنة في صرح الحضارة كما وأن العصر الذي يعيش فيه ويدين بمذهبه لايمكن أن يكون عصر إنبعاث وحضارة فالإنسان في المدنية الحالية يضع نصب عينيه إشباع الحس ويقوم كل عمل بمقومات حسية تصب كلها في الجيب والبطن ومايشتق منهما . لذلك فهي مدينة عاطلة عن العظمة الحقيقية عقيمة لامحال فيها للبناء الأصيل .

ويقول جارودي : لقد ضاعت على الغرب فرصة تأثره وتواصله بالحضارات الأخرى ، لقد زيف الاستعمار الغربي التاريخ من صور التوسع الإسلامي الأول على أنه موجه من موجات البربرية الآسيوية التي هددت الغرب في حين أن الغزاة الأنجليز والفرنسيين والأسبان هم الذين دخلوا أرض الإسلام فدمروا الحضارة الإسلامية في كل أشكالها .

ولايستطيع باحث واحد أو اثنان أن يدركا عمق الأزمة التي بلغتها الحضارة الغربية بشقيها الليبرالي والشيوعي ، من تدمير الوجود الاجتماعي حيث تنتشر ظواهر التحلل بدرجة لاتخطئها عين من التحلل الأسري وإهمال العجائز والعزوف عن الإنجاب هرباً من المسئولية نحو الأبناء فضلاً عن اللقطاء وانتشار الإدمان وتخريب البيئة وتعالى طاقات التدمير النووية حيث أصبحت البشرية في خطر حقيقي إذا ظلت حضارة الغرب مهيمنة وكيف تمنع مخاطر الهندسة الوراثية التي تؤثر في الأجيال إذا ظل هذا العلم الخطير بغير ضوابط قيمة صافية .

إن أعظم معطيات الحضارة الإسلامية التي تقدم للبشرية اليوم بعد فشل الحضارة الغربية وعجزها وسقوطها هي هذه الحقيقة : التي هي مفتاح الحضارة الإسلامية وعقدة الحضارة الغربية الحديثة - على حد تعبير الدكتور محمود قاسم .

هذا السر الإلهي الذي أعطاه الله تبارك وتعالى للمسلمين ففتح لهم الدنيا هو الترابط بين الإيمان بالغيب والإيمان بالعقل فقد قدمت الحضارة الإسلامية أساساً هاماً من أسس الحضارة هي ترابط الإيمان بالغيب والعقل معاً وعدم تعارضهما والموائمة بين رسالة الإيمان والدين وبين رسالة العقل من ناحية أخرى ، إن الحضارة الإسلامية قد أظلت المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وهي التي دفعت أبناء هذه الحضارة أن يتحللوا من منهج الثقافات المعروفة في ذلك الحين (الثقافة اليونانية والفارسية والهندية التي كانت سائدة لمدة ألف عام قبل الفتح الإسلامي) .

وقد فهم المسلمون القرآن ودعوته إلى العلم وإحترامه العقل (العقل أساس التكليف) ولم ينشأ فيهم ذلك التنافس بين الإيمان بالغيب والإيمان بالعقل والدور الذي يستطيع أن يستخدمه به الإسلام للوصول إلى التقدم وسائر فروع المعرفة (عقل يهتدي بنور الوحي ومنقول يطابق المعقول كان ذلك الانفتاح والأمثال على العلم) .

أعطى الإسلام الوحدانية بدلاً من الشرك

أعطى الإسلام تكامل الفرد مع المجتمع

فالتوحيد بمعنى أن لاسلطان لأحد عليه من المخلوقات وأنه خاضع لله تبارك وتعالى وحده و وهو لون جديد وفريد حيث كانت الحضارات القديمة تعتمد على المادية وصهر الإسلام تراث الأمم واستصفى خير مافيه ومن هنا فإن العلم الإسلامي لم يجد مايتعارض مع هدف الدين بحيث يمكن أن تعتبر العلم جزءاً من الدين ، وكان لهذا التكامل بين رسالة العلم ورسالة الدين يمثل أساساً هاماً وركيزة جوهرية في أسس الثقافة الإسلامية بوجه عام ووجد المسلمون في القرآن الكريم كثيراً من الشواهد على هذه الموائمة فالوحي يقول (اقرأ) ويقسم الله تبارك وتعالى بالقلم ، والقرآن زاخر بتمجيد العلم والعلماء .

والآيات القرآنية تحض على النظر والتفكير والتدبر وإعمال العقل الإنساني وكل هذا لايتعارض مع الإيمان بالغيب ، والغيب هو مافوق عالم الحس والشهادة وقد يدل على هذا الجزء من عالم الشهادة الذي لم يصل إليه العلم بعد ، والغيب لايتعارض مع العلم ومع الإيمان بالعقل الإنساني والإسلامي قد حرص كل الحرص على أن يحض على الإيمان بهذين معاً :

العقل والغيب ليبعث الطمأنينة في نفس الإنسان ، هذا هو الذي يختلف عن مفهوم الثقافة اليونانية التي صورت الأنسان على أنه الشخص المضيع الغريب المصاب بالهلع والذي يحس بأنه لاقبل له بحل ألغاز هذا الكون ومن ثم يسلك مسلكاً مأساوياً وهذا هو مصدر الغربة والاغتراب يحس بأنه لا قبل بحل هذه الالغاز ومن ثم تغلبه المأساة التي تقدم له الدواء في ضياعه وغربته .

كان فهم المسلمين لمهمتهم ودورهم واضحاً ، انطلق هذا الفهم من منطلق أن الله تبارك وتعالى كرم الإنسان وسخر له الكون لاكتشافه وتعميره .

ولذك لم يكن دور المسلمين مجرد دور نقله وترجمته ولم يكن المسلمون مجرد جسر عبرت عليه الثقافة القديمة بل كان إنشاءاً جديداً متميزاً قام على أساس القرآن مع الاعتراف بفضل السابقين شريطة أن يصهر في بوتقة الإسلام ووجهته ومفاهيمه الحضارة .

وهكذا وضع المسلمون الأساس لحركة علمية شاملة تطلعت إليها أوربا منذ القرن الثاني عشر وقاومتها الكنيسة وبعد أن أخذت أوربا المنهج التجريبي وتراث المسلمين واستصفت مافيه من علوم ، جاء« رينان » ليقول أن العرب ليس لديهم أصالة ، وأن العقلية العربية عقلية جامدة وأن العرب يهتمون بالجزئيات .

وظهر إجماع على الصمت وتجاهل دور المسلمين وإنكار فضل المسلمين ومهما قال رينان من أن العرب (أي المسلمين) – حطاً من قدرهم – ليس لديهم إلا الاهتمام بالجزئيات والخيال فذلك لاينقص من فضلهم على البشرية . وكثير من علماء المسلمين يردون عنه ويسلمون بأن

العرب يهتمون بالجزئيات وبالخيال - كما يقول محمود قاسم - ولكن عندما يدرس المنهج العلمي الذي عرفه المسلمون نجد أنه لايقوم إلا على الأشياء الجزئية والخيال ولذلك نجد مثلاً (روجر بيكون) في القرن السادس عشر أراد أن يحرر أوربا من التفكير اليوناني فأخبرهم عن وجود مناهج علمية عظيمة جداً وقد تبين لهم أن المنهج اليوناني عبارة عن قضايا فضفاضة وعامة جداً ، أما المنهج التجريبي الإسلامي فهو يقوم على ملاحظة الجزئيات واستخدام الرياضة فإذا رجعنا إلى من كان يستخدم الجزئيات والرياضة نجدهم العرب ، والبغدادي يرفض كل ما يكذبه الحس لأنه لايمكن أن يكون معقولاً من ناحية الخيال .

والمنهج التجريبي الإسلامي لم يدخل أوربا إلا ابتداء من القرن الثالث عشر وحورب كثيراً حتى بدأ يتنفس وعندما عرفوا قيمته أخذوه وخدعنا نحن أصحاب المنهج في منهج أرسطو .

ومن العجيب أننا أعطيناهم المنهج التجريبي فلما جاء النفوذ الأجنبي حمل لنا معه منهج أرسطو الذي عارضناه منذ ترجمته وأعطينا أوربا دلائل هدمه ، تقول الدكتورة فوقية حسين أستاذ الفلسفة في جامعاتنا : في العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري : إن السرفي أن شبابنا المسلم عقوله خاوية من أية حضارة فكرية حيث أن الفكر اليوناني الذي هدمه الغزالي وابن تيمية مازال مسيطراً ومازال الطلبة بالمدارس والجامعات يدرسون أرسطو الذي مازال متربعاً على العقول رغم أنه لم يعد له هذه المكانة في تراثه وشبابنا يتأثرون بمنهج أرسطو الفكري القائم على تسجيل النظر واسعاً والعمل والواقع .

وهذا من المتناقضات حيث نحن أصحاب المنهج التجريبي نظل

مخدوعين لمدة قرنين اليوم في أرسطو وقد جدده لنا لطفي السيد وطه حسين بينما تلقفت أوربا المنهج التجريبي الإسلامي له المنهج العلمي القائم على الملاحظة وعلى التجربة والذي ينتهي من استقراء الظواهر إلى إستخلاص القانون التام والقانون العلمي - كما يقول الدكتور محمود قاسم - هو تفسير علمي للظواهر ، وهذا المنهج عرفه العرب وأبدعوه عن طريق إيمانهم بالحس والمشاهدة وعرفوه عن طريق الاستعانة بالآلات والأجهزة باعتبار أنها أدوات مساعدة لتقوية الحواس ففي فن الطب نجد طبيب مثل ابن النفيس كان يقيم علمه على التشريح في الوقت الذي كانت أوربا يعتقد أن التشريح رجس من عمل الشيطان وأنه لايتفق مع كرامة الجسم الإنساني وأول عملية تشريحية تمت في أوربا أجريت في باريس ١٤٧٨ بعد وفاة ابن النفيس بمائتي عام .

وكان جابر بن حيان عالم الكيمياء يعتمد على التجربة والملاحظة وكان يعد الأجهزة بنفسه وكذلك ابن الهيثم يعتمد في تجاربه على الضوء وانتشاره وانعكاساته وكان يصنع الالات بنفسه ويجهزها ليثبت التجربة .

وقد أصبح علم الكيمياء على يد العلماء العرب علماً تجريبياً محضاً لاعلم أسرار ، والعرب بطبيعتهم يتجهون بتفكيرهم إلي التجزئة والواقع من الناحية العلمية ومن الناحية الفقهية كانوا يتجهون إلى العمل النافع للمجتمع العصري .

والعقلية العربية (الإسلامية فكراً وعقيدة) كانت تتجه دائماً إلي العلم النافع الذي ينفع الانسان والمجتمع إما الفكري والنظري فكانوا لايحفلون به كثيراً .

وقد طبع كتاب القانون لابن سينا في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن ١٥ خمسة عشر مرة وفي السادس عشر عشرين مرة وظل يدرس في القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر وكان الطبيب ابن عباس يقول أن جس نبض المريض رسول لايكذب أ . هـ .

***

بمراجعة عدد من الأبحاث الجادة حول الحضارة الغربية يمكن تقرير مجموعة من الحقائق الأساسية :

أولا : أنها حضارة مادية ينقصها بعدان : البعد الإلهي والبعد الأخلاقي ومن ثم عجزت الحضارة الغربية المعاصرة عن حمل أمانة العدل والرحمة والإخاء البشري واستبدلت ذلك كله بالظلم والقسوة وحفرت في نفوس أهل البشرية الخوف والجوع وجرت كل مجرى ، في سبيل تقديم منهج حياة بشري قوامه الفردية أو الجماعية وتبين فساد المنهجين الرأسمالي والماركسي وعجزهما عن العطاء وبذلك فإن على البشرية أن تعود مرة أخرى إلى منهج الله تبارك وتعالى فهو وحده القادر على إعطائها المنطلق الصحيح ، ولاريب أن أخطر عوامل سقوط الحضارات وعلاماتها الواضحة اليوم في الحضارة الغربية هي : الانغماس في الترف والرفاهية والإباحية .

ثانياً : منذ وقت بعيد أعلن عبد الكريم جرمانوس ومحمد اسد (ليوبولد فايس) وعبد الواحد يحي وبوكاي وجارودي عن إفلاس الحضارة المادية الغربية وعقد الأمل على الإسلام في إنقاذ البشرية وقد وضح لهم أن الحضارة الإسلامية هي وليدة الإسلام تخلقت في رحمة وكسبت مادتها وصورتها وجسدها وروحها من نسيجه فالإسلام هو صانع الحضارة .

ثالثاً : يقول جارودي أن حضارة الغرب تعزل العلم والتقنية عن الحكمه أو تفصل الوسائل عن الغايات ولكن الإسلام يجعل القوة من أجل الحق وهي فردية في ذاتها فالفرد فيها يعيد نفسه ويتصرف لتحقيق ذاته حتى الجماعات أيضاً .

أما الإسلام فهو قادر على أن يحل مشاكل الحضارة الغربية فهو يمنع العلم من الوقوع في العلمانية وتمنع التقنة من الوقوع في حكومة خبراء التقنية ، ويمنع السياسة من الوقوع في الميكافيلية وبذلك تتحرر الحضارة من المبدأ الخبيث (الغاية تبرر الوسيلة) .

رابعاً : ظهر في الغرب تيار واضح يكشف عجز الحضارة الغربية من العطاء تمثل هذا التيار في (سقوط الحضارة) لشبنجلر ، وفلسفة الحضارة لشفايترز والديمقراطية في أزمة للاسكي وعالم جديد ليبكر ، والأنسان ذلك المجهول لاليكس كاريل ، وقد أدرك الجميع سقوطاً محتوماً للعقل الغربي لم يشفع له التقدم التقنى ولاحالت دونه مخاوف الحرب والدمار .

أما جارودي فقد نقد الحضارة الغربية نقداً شاملاً وخلاصة رأيه : أن المشاكل الطاحنة التي يعاني منها الغرب اليوم هي أكبر دليل على إفلاس النظام الغربي وفشله في تحقيق أي قدر من الاستقرار للمواطن وقال أنني من دراساتي للأديان المقارنة كان الإسلام بالإستمرار له الأفضلية فالإسلام دين ودولة ، لم يكن محمد ﷺ مجرد نبي دائماً كان أيضاً رجل دولة ومشرعاً وزوجاً وأباً وتاجراً وقاضيا وقائد جيش .

وقد أخذت الرسالة الإسلامية أبعاداً جديدة لم يكن من الممكن أن تأخذها وقت سيدنا عيسى عليه السلام فقد شملت العلاقات الاجتماعية

دون أن نفقد أبعادها الروحية أبداً وقد سجل القرآن الكريم :

﴿ أن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ .

فقد كان الخاصية القرآنية منهاجاً أخلاقياً للعمل فالإسلام يرفض بقايا حياة الأديرة حيث التأمل هو السبيل الوحيد والهدف الأسمى .

كانت تلك هي عظمة الإسلام وقوته وسر انتشاره المؤهل حتى أنه بعد أقل من قرن كان الملايين من أبناء العالم شرقاً وغرباً يدينون به والإسلام لم ينتشر بقوة السلاح كما يزعم المستشرقون ، لقد دخل هذا الدين عقول البشر وقلوبهم فانتشر بسرعة مذهلة وإلا فكيف أمكن الدخول في طاعة الاف من الجنود المسلمين بإيمانهم وتحقيق هذه الانتصارات الباهرة على أقوى الجيوش المحاربة ، لقد احترم هذا الدين قوة العقل الأنساني ومن ثم كان إعتناقى للإسلام عن إيمان وعن اقتناع بقدرته على حل المشاكل التي يعاني منها عالم اليوم .

أما اليكس كاريل فلقد كشف معارضة الحضارة للفطرة ومخالفتها لمنهج الله تبارك وتعالى وخاصة بالنسبة للمراة وبالنسبة للعقل فهو يعترض على فكرة مساواة المرأة بالرجل ويرى أنها فكرة غير صحيحة بيلوجياً وأن هناك فوارق عميقة بينهما ، وعنده أن الأنوثة والذكورة ليست مظاهر جسمية فقط بل هي تكوين عاطفي ونفسي والتكوينات الجنسية والمزاج وحتى أصغر خلايا الجسم تحمل طابع جنس الأنسان سواء أكان رجلاً أم امرأة ، وهذا يعني أن لكل منهما قدرات ومهام خاصة في الحياة ينبغي أن يمارسها دون أن يتمرد أو يتجرد من طبيعته ووظائفه البيلوجية والاجتماعية كما يرى أن العقل لايقتصر على المدركات المحسوسة ومعرفة مسمياتها بل يحتوي أيضاً على منطقة معمورة تلعب دوراً محفوظاً في

توجيه السلوك دون أن يستطيع العلماء رصد تحركاتها وهي تختلف بصورة أو بأخرى عن اللاشعور أو العقل الباطن .

خامساً : ظاهرة سقوط حضارة الغرب

ومن يراجع كتابات ليوبولدفايس (الإسلام على مفترق الطرق) ومن ثم (الإسلام بين النظرية والتطبيق) وأريك فروم ثورة الأمل ورينيه دوبو (إنسانية الأنسان) يدهش لأنها كلها تتحدث عن سقوط الغرب .

يقول البروفسور سيمون جارمي (جامعة جنيف) أن الغرب قد فقد المرتكزات الروحية والثقافية والدينية التي كان يرتكز عليها ، فلم يعد هناك شئ يركن إليه ، فالديانة النصرانية فقدت مقوماتها والتوق إلى الروحانيات انتهى واضمحل في النفوس فأصبح في الغرب نوع من الضياع الشامل تكتوي به الأجيال الشابة ، واعتقد أن حضارتنا الغربية هي الآن في حالة احتضار وأننا نعيش نوعاً من موجة التحول التي لانعلم ماذا سينتج عنها ، نحن نشاهد حضارة تنازع وتوشك أن تموت ولابد أن تنشأ عنها حضارة جديدة ، نحن نعيش في نفق مظلم ولانزال ننتظر النور الذي سيهدينا .

ويقول جاك بترك في كتابه الأخير (الإسلام على مستوى الكون) : ليس غير الإسلام ديناً يصلح على مستوى الكون عندما يبحث الكون عن عقيدة تنتشل روحه وأدميته من هوة الظلمات المادية التي يتردى فيها .

سادساً : التحلل الخلقي

يرجع كثير من الباحثين سقوط الحضارة الغربية المعاصرة إلى عوامل أبرزها : التحلل الخلقي .

وقد أدان الباحثون الفساد المادي والمعنوي في أوربا وأمريكا والاتحاد السوفيتي وذلك بعد أن صنعت الحضارة الغربية من الأنسان حيواناً منظماً مهذباً نظيفاً ليعيش في مستوى من الترف يبلغ خمسين ضعف مايتوافر لأخيه الأنسان في غير أمريكا وأوربا حيث يموت عشرات الشعوب جوعاً فضلاً عن ميزانيات التسليح والإنفاق على الترف وحيث ترمى إلى البحر بكميات ضخمة من السمن والزبد واللبن ولاتعطيها للملايين الجائعين وتمنع الشعوب من أن تنتج طعامها أو تملك إرادتها فضلاً عن تكبيل العالم بالديون حتى تبقى رهن إشارتها وأرضاً فارغة تستعمل موادها الخام .

ومن أخطر عوامل التحلل الخلقي ظاهرة الشذوذ الجنسي وما استتبعه من مرض الأيدز (لعنة السماء) لتؤكد جوهر الأصل للأديان السماوية وأن اللواط لايمكن أن يكون تحضراً وأن الحرية الجنسية ليست تحضراً وأن إدمان الخمور والمخدرات ليس رقياً أو نهضة وقد حققت الولايات المتحدة الرقم القياسي لهذا المرض .

ولقد امتد الشذوذ الجنسي إلى القساوسة والرهبان فقد حملت وكالات الأنباء العالمية أن اثنى عشر أباً مسيحياً في الولايات المتحدة قد أصيبوا بمرض (سيدا) الذي ظهر مؤخراً وهو مرض يصيب الأشخاص الذين يمارسون الجنس مع الرجال والنساء حراماً ويفقدون بذلك المناعة الفطرية في دمائهم ونشرت مجلة النيوزويك الأمريكية دراسة حول مائة [illegible] عالم نفس أمريكي يوضح أن عشرين في المائة من القساوسة الكاثوليك الأمريكين مصابون بالشذوذ الجنسي وأن نصف هؤلاء لديهم نشاط جنسي . هذه الدراسة أجراها عالم النفس ريتشارد سايت وهو نفسه قسيس سابق وأن بعض الأطباء يعتقدون أن نسبة ٤٠ ٪ منهم أقسموا

على عدم الزواج وليس على العفة .

ومن أبرز مظاهر الحضارة : ظاهرة الانتحار والانتحار الجماعي التي تتزايد بين الشباب في الولايات المتحدة وقد أثبتت الأبحاث أن بعض المراهقين في هذه الفترة من العمر يقدمون على الانتحار في شكل سلسلة من أعمال الانتحار الجماعي لايفصل بين الحالة والأخرى سوى فترة زمنية قصيرة ، وتكون هذه السلسلة محصورة في مناطق محدودة . ولم يوجد أي تفسير علمي بالنسبة لعديد من انتحار خبراء شئون الانتحار ، مثل العالم النفسي (ديثور) وكان نشر الخبر بشكل سريع عبر الصحافة والإذاعة والتليفزيون حافزاً بالنسبة للفتيان والفتيات الواقفين على حافة الهاوية لإدخال فكرة الانتحار من جانبهم حيز التنفيذ (وقد بلغ عدد المنتحرين في أمريكا ٥٠ ألف شخص في الفترة بين ٧٠ - ٨٠ وأعمارهم بين ١٥ ، ٢٤ عاماً وفي ١٩٨٠ زادت النسبة ثم وصلت ١٩٨٦ إلى مائة ألف حالة . كما تفشى مرض الزهري واجتاح الملايين بين سن ١٨ ، ٢١ ويكمن في التدهور الاخلاقي .

وقد اتخذت الحضارة الغربية من (الفن) منفذاً إلى الدعارة والفسق حيث فشت الإباحة في فلسفات لها طابع علمي وأكاديميات للمسرح والسينما ومعاهد للبالية وفرق لرقص البطون ومسرحيات ضج من هبوطها الرأي العام واختلاط بين النساء والرجال بلا رقيب ولاضابط منها مرافقة المرأة للرجل وخروجها سافرة عارية باسم تحرير المرأة وإعطائها حقها وقد نقل المسلمون والعرب هذه الأساليب إلى بلادهم فجرت الأسرة إلى هاوية الهبوط والانحلال .

ولم يقف أمر انهيار الحضارة عند هذا الحد بل وصل إلى حد

أحداث الشذوذ الجنسي مع الأطفال وماأعلن عن عصابة المراهنات وتزايد إدمان المخدرات ، وأباحة السفاح بين الإخوة والأخوات ، وممارسة اللواط في المراحيض العامة وارتفاع نسبة (الإجهاض) ومايخلق من آلاف الأطفال اللقطاء وأولاد السفاح الذين تبلغ عددهم ٥٠ في المائة من المواليد وممارسة الجنس بين الطالبات وقد بارك القساوسة الرزيلة وقاموا بإصدار مجلة جنسية وبيعها في الكنائس ليرغبوا الشباب لحضور صلاة الأحد وعقد مبشر قراناً بين فتاتين .

هذا فضلاً عن ظاهرة التجرد (الستريك) بعد الخنافس والهيبز حيث يتجرد الأشخاص رجالاً ونساء من ملابسهم في الطرقات والشوارع وفي أسبانيا ملاعب مصارعة الثيران فضلاً عن مأساة كبار السن في المجتمعات المتقدمة الذين أصبحوا غير مرغوب في بقائهم وحرمانهم من عواطف الأسرة وكان أخطر ماوصلت إليه الحضارة العالمية وضع الفساد في أسلوب قانوني ووضع الفنون الساقطة في مناهج علمية .

ومن هزائم الحضارة أن عشرة ملايين طفل يموتون كل عام في العالم الإسلامي بسبب الجوع ونقص التغذية والإسهال ويمكن إنقاذ هؤلاء الملايين بتوفير الطعام لهم ولكن الحضارة الغربية الشوهاء تابى ذلك وتنفق ملايين الدولارات على عمليات زرع القلوب لاستبدال قلوب من لاخير فيها بقلوب القردة والكلاب والخنازير أو قلوب صناعية مطاطية أو حديدية .

ويقول الدكتور برنارد (أستاذ طبيب القلوب في العالم) : إنما أشعر بوخذ الضمير حيث كنت رائد عمليات زرع القلوب وقد قمت بارتياد هذا المجال ولاأظن أنني بعملي هذا أسعدت الأنسانية فالقلوب التي استبدلتها لم تعش طويلاً ولكنها جعلت حياة أصحابها سلسلة من الشقاء والتعاسة .

أننا نصرف ملايين الدولارات على هذه العمليات التقنية البارعة ولاتقدم للانسانية أي خدمة حقيقية ولو أردنا خدمة حقيقية ولأنفقنا هذه الملايين في انقاذ ملايين الأطفال الذين يعانون من الجوع وسوء التغذية .

كما ذكرت التايم الأمريكية (أغسطس ١٩٨٤) أن عدد الأطفال الذين يتم إجهاضهم بدون سبب طبي يبلغ خمسين مليوناً كل عام منهم ٢٥ مليوناً في العالم الثالث والسبب الرئيسي للأجهاض في العالم الثالث هو الفقر حيث لاتستطيع الأم (متزوجة أو غير متزوجة) أن تقوم برعاية أطفالها وفي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ٢٥ مليون حالة إجهاض سنوياً ترجع إلى أسباب اجتماعية (غير أخلاقية) منذ أباحت المحكمة العليا في الولايات المتحدة الإجهاض عام ١٩٧٣ تم إجهاض أكثر من ١٥ مليون طفل عام ١٩٨٣ مما دعا ريجان إلى أن يقود حملة مكثفة ضد قوانين الإجهاض ولم يستطع ريجان أن يغير القانون المبيح للإجهاض وفي أسبانيا والبرتغال مليون حالة إجهاض سنوياً وفي أوربا الغربية مليون حالة وثلاثة ملايين في الإتحاد السوفيتي كل عام .

وهذه هي مأساة الحضارة حيث يقتل خمسون مليون طفل كل عام إجهاضاً (ويموت ١٥٠ مليون طفل في البلاد الإسلامية جوعاً) ثم يقوم بإنفاق مئا ت الملايين من أجل حفنة من النساء العواقر لايزيد عددهن عن عشرات كل عام (مائة حالة ولادة طفل أنبوب خلال خمس سنوات) بسبب عقرهن في الغالب من الأمراض الجنسية والتهاب الحوض والسيلان وذلك بسبب انتشار الزنا وفي ذلك تقوم الحضارة بإنفاق مئات الملايين من الدولارات (دكتور محمد على البار) .

ومن ناحية أخرى تبرز ظاهرة انتحار العلمانين

حيث يبدو بوضوح أن هناك ارتباطا بين معدلات الانتحار وبين البعد عن حكم الدين (كما يقول دكتور حسن الشرقاوي) ويتمثل ذلك في انتحار بعض رموز الفكر والأدب الذين تميزوا بالتحرر العقلي أو بإنكار الأديان السماوية من الذين يعطون حق الحياة للقاتل وإعطاء حق الانتحار للمحكوم عليهم للحياة الطويلة المملة كما يقول أرثر كيسلر .

وقد وضحت ظاهرة ازدياد معدلات الجرائم في البلاد التي ألغت عقوبة الإعدام على القتلة والسفاحين نتيجة إطلاق سراح قلة من الأشرار المنحرفين يعيشون في الأرض فساداً وكانت نظرية ديوي في حفظ حياة السفاحين والقتلة بدعوى حقهم في الحياة وهذا يدل على أن الفكر البشري عاجز في البداية والنهاية عن إيجاد تشريع أخلاقي أو قانون اجتماعي صالح للتطبيق كذلك الحكم بالموت على الذين طالت حياتهم .

ويحبذ ايدريه مالرد في كتابه (الوضع الأنساني) فكرة الانتحار والبير كامي يقول (أن الانتحار يمكن أن يكون شيئاً أكثر من مجرد إيماء إلى التحدي واليأس) .

وترجع أسباب اليأس والقنوط إلى خيبة أملهم في المذاهب المادية والعلمانية ومحدوديه عقولهم فقد اعتنق (أرثر ميلر) الماركسية وجعلها مصدراً لإلهام رواياته ثم اكتشف بعد ذلك زيفها وعجزها فأصيب بخيبة أمل ربما توصله إلى يأس قاتل يؤدي به إلى الإقدام على الانتحار كما فعل وبالعكس جارودي الذي اكتشف أن الماركسية طريق مسدود وأنه لارجاء إلا في الإسلام فتمسك به .

كذلك وصل (جاكوب مورنو) من عمالقة الفكر العقلي في أمريكا ورائد المدرسة النفسية الاجتماعية ، إلى المأزق وأدخل نفسه في مصيدة

العلمانية فلم يستطع خروجاً ، وقد انتحر أبشع انتحار أو قرر ألا يأكل ولايشرب حتى الموت . وأقدم التوسير (من أقدر فلاسفة المادية في فرنسا) على أرتكاب جريمة بشعة إذ قتل زوجته وهي بجانبه على الفراش وأحيل إلى مستشفى الأمراض العقلية وأعلن هايدي جارون عميد فلاسفة العصر في أوربا عن الإفلاس العقلي والفراغ الفكري وعن المأزق الذي وصل إليه العلمانيون (نحن نعيش في ليل أوربا) وأعلن سارتر ساعة إحتضاره أن فلسفته قادته إلى هزيمة نكراء وهكذا وصلت المادية والعقلانية إلى الطريق المسدود ، وانتهت إلى الافلاس العقلي والازمات النفسية ولايجد الإنسان الأمن إلا في الدين أ . هـ .

وهناك إضافة صغيرة هي أن تربية الكلاب في الغرب تفوق تربية الآدمين حيث توجد ملايين الكلاب التي تأكل أفخر الأكل وتنام على مهاد .

سابعاً : انحسار الفكر الشيوعي

جاءت الشيوعية كما يقولون لتصحيح طريق الرأسمالية - الديمقراطية - الليبرالية وتمد البشرية بمضمون جديد والآن وبعد سبعين عاماً تنهار النظرية الشيوعية انهياراً تاماً لأنها خالفت الفطرة والعلم ومنهج الله - تبارك وتعالى - وقد تآكلت النظرية الشيوعية في خلال أقل من قرن من الزمان .

ثامناً : الإسلام هو منقذ البشرية وملاذ الإنسانية

لقد أخفقت جميع الأيدلوجيات الاجتماعية والسياسية في تهيئة الجو الصالح للحياة الإنسانية ، اعترف بذلك جارودي وعدد كبير من فلاسفة الغرب ومثقفيه ، وأكدت هذه الدراسات على أن الإسلام هو الملاذ

الوحيد للبشرية في كل زمان ومكان وكل عصر .

ولا أدل على ذلك من أن هذه المجتمعات المادية التي جربت كل أنواع التقدم العلمي والحضاري وعاشت قمة التجارب العلمية والعملية فشلت اليوم لأنها لم تجد فيها مايحتاج إليه من أمن نفسي وشعور بالسلام .

وأن أهم ماجذب هؤلاء الفلاسفة الإعلام - كما يقول جارودي - إلى الإسلام أنه كان على عكس التعاليم المسيحية التي كانت تفصل مالقيصر لقيصر ومالله لله ، أي الفصل بين الدين والدنيا بينما جاء محمد ﷺ ينهج نهجاً أخر إذ يعلمنا الإسلام مايجب أن نفعله فمالقيصر لله وهذا سر تفوق الإسلام ومن هنا أطلقت صرخة تحذير ضد الحضارة الغربية الزاحفة على مجتمعنا الإسلامي فهي (حضارة الانتحار) حيث تقوم على مفهوم التقدم السريع حتى ولو كان على حساب العلاقات الأنسانية بين الأنسان واخيه الأنسان والعلاقة بين الأنسان وربه .

يقول جارودي : إن مفهوم الغرب للعلم يقتصر على وضع القوانين للظواهر ، وهو لايسأل عن معناها ولاعن علاقتها بالخالق تبارك وتعالى وهي حضارة تعاني من أزمة المعنى وتحتضر ليس بسبب غياب الوسائل ولكن بسبب غيات الغايات حتى أنها أصبحت كانسان له جسم عملاق ورأس قزم .

والبعد الإسلامي هو إعطاء معنى للحياة وقد أتى الإسلام بمفهوم الأمة المتسامية وهذا مايفقده الغرب وسيكون للإسلام مستقبل باهر كما كان في ماضيه أمام انهيار وإفلاس الغرب الرأسمالي والاشتراكي ويجب أن تستلهم اليوم روح الإسلام وتعاليم الرسول والأئمة (إن الإسلام هو الدين الوحيد القادر على حل مشاكلنا) .

إن الأمة الإسلامية لم تقم على (وحدة الدم) كالمجتمعات القبلية أو (وحدة الأرض) كالمجتمعات الزراعية ، أو (وحدة السوق) كالمدن الرومانية ، وإنما قامت على وحدة العقيدة والمستقبل .

وقد كشف الإسلام قانون قيام الحضارات وسقوطها ، حيث تسقط الحضارات من داخلها لأن الغزو الخارجي إنما يأتي كالعاصفة ولايقتلع إلا الأشجار التي لاجذور لها والمعادلة التي يأكدها التصور القرآني هو أن كثرة الفواحش والأثام تأتي نتيجة (أو مرحلة ثانية وسطى) من مراحل سقوط الحضارة وهي ليست السبب الأول .

ولكن السبب الأول هو فساد الفكر (حيث يقدم منهج زائف يبيح التحلل ويجعل الفاحشة عملاً شريفاً ومن ثم ينكسر السلوك ويتجذر فيكون ذلك مقدمة للانهيار .

أما الحضارة الإسلامية فهي تقدم نموذجاً كريماً سمحاً عالي الذرا

– التوازن بين الدين والدنيا ، بين العقل والتعقل ، بين الفرد والمجتمع ، تحمل طابعاً وسطياً ينكر التطرف المعالي الذي هو قصور يقف بأصحابه عن الرؤية وحيدة الجانب .

– انبثق العلم من القرآن سواء من حيث المنهج (وهو منهج حسي عقلي) لأن الله تبارك وتعالي أمر باستعمال الحواس والعقل معاً أو من حيث موضوعات البحث .

– الحضارة الإسلامية تقوم باسم الله تبارك وتعالى وعلى يد الأنسان ونصوص القرآن صريحة فى أن تبارك وتعالى قد استخلف البشر في الأرض واستعمرهم فيها أي طلب منهم عمارتها .

وهي حضارة عالمية أنسانية شأنها شأن الإسلام نفسه وتتمثل وحده الحضارة الإسلامية في التوحيد رغم تنوع مظاهرها .

- يدعو الإسلام إلى التقدم من خلال الإيمان بالله والمسئولية الفردية وعدم التصادم مع السنن والنواميس وإقرار المسئولية الأخلاقية في التعامل مع الغير والإيثار والعدل والرحمة والموازنة بين الحاجات المادية والمطامح الروحية .

ولما كانت الحضارة الإسلامية هي حضارة المستقبل فإنها يجب أن تحمل مؤهلات القيادة العالمية .

وتنحصر هذه المؤهلات في الاعتراف بالبعد الرباني للمجتمع والحضارة والتسليم لواجب الحياة السيد الأكبر وتوجيه الحضارة والمجتمع الوجهة الربانية القائمة على الإيمان بالله تبارك وتعالى وأخلاقية الحياة .

ومنذ خمسمائه عام والحضارة تبحر في محيطات المعاداة لقوانين الله تبارك وتعالى : (الإباحة - الإسراف - التحلل)

ولقد تكشفت الحقائق للناس الآن الذين يطالبون بمنهج جديد ولقد أعطيت التجربة المادية أكبر قدر من الفرصة ومن إملاء الله تبارك وتعالى لها ليكشف زيفها ويقف العالم اليوم على أبواب « اليأس » الذي يسلطه الله على الظالمين ولامفر ولامخرج إلا (إذا جاءهم بأسنا تضرعوا) فالبشرية الآن تطلب منحاً جديداً ووجهاً جديداً ورباناً جديداً لسفينتها ليتجه نحو وجهة الله تبارك وتعالى .

الفصل الحادي عشر

إسلامية الفن

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

يمكن القول بوضوح أن الخلاف بين مفهومنا الإسلامي للفن وبين مفهوم الغرب يتركز في عدة نقاط :

أولاً : في الإســلام هناك تماسك وتكامل بين القــيم الجمـالية والقيم الاخـلاقيـة وقيم الإيمان والحق شريطة ألا يعطي المبدأ الجمالي أولية على المبدأ الأخلاقي بل يكون اتجاه الحضارة الإسلامية قائماً على أولية المبدأ الأخلاقي على المبدأ الجمالي .

ثانيـاً : قـيـام الضـوابط الشـرعيـة التي تحكم الفن في ضـوء التوجيهات التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المشرفة من أجل كشف الغاية المثلى والمقاصد الأسـاسيـة للفن الإسلامي وهي رؤية وتدبر عظمة الخالق تبارك وتعالى وإبداعه في جمال مخلوقاته ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ﴾ .

ثالثاً : حسم الإسلام لمسألة حرية الفنان في تقليد الطبيعة أو محاولة التفوق عليها أو تجسيم المخلوقات فاعلن رفضه لذلك تماماً .

رابعاً : توجه الفنان المسلم إلى مفهوم التجريد واللانهائية على أساس أن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شئ ، وباعتباره جل شأنه رمز الجمال والكمال ومن هنا نفهم فن الأرابيسك : تلك الوحدات المزخرفة المتكررة بشكل لانهائي حيث تبدو متماسكة متناسقة وذلك بخلاف مفاهيم الفن الغربي وحريته في التعبير بما يصطدم مع القيم الاخلاقية .

خامساً : القرآن الكريم يلفتنا في كثير من آياته إلى الجمال الفني ويدعونا إلى النظر إلى جمال الكون وحسن تنسيقه فقد أقسم الله - تبارك وتعالى - بالليل والقمر والأرض ليلفت النظر إلى أن الكون موضوع تفكير

وأنه منطلق الإيمان بالله تبارك وتعالى وفي السنة النبوية توجيه إلى هذه المعاني .

قال ﷺ : إن الله جميل يحب الجمال ، وقال زينوا القرآن بأصواتكم وقوله تعالى ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ .

سادساً : وضع الإسلام قاعدة الفن المنضبط : المتوازن بين الجمالية والأخلاقية على ضوء مفهوم الإنسان نفسه الجامع بين النواحي الوجدانية والفعلية حيث لكل جانب مفاهيمه وميزاته .

فالأعمال الفنية في الإسلام يجب أن تخاطب العقل والعاطفة معاً ويجب أن تكون متطابقة مع ضوابط الفن من حيث ما أحل الله تبارك وتعالى وماحرمه .

سابعاً : يرفض الإسلام مفهوم الفن للفن (بمفهومه الغربي) حيث طرحت قضية الفن للفن في الغرب لتحرير الفنان من الضوابط الخلقية والقيم الدينية والاجتماعية وحتى يندفع الفنان إلى جوانب الإباحية والكشف والعرى على النحو الذي تطور إليه الفن الغربي وسقط في براثن السريانية المدمرة .

ثامناً : إن إسلامية الفن (التصوير والتمثيل والموسيقى والرسم والنحت) تضع الفن في مكانه الطبيعي بحيث لا يتعارض مع مكونات الإنسان الأساسية فالفن تربية وتبنيه القدرات الإنسانية .

ويجب أن ينظر إلى الفن باعتباره قطاعاً من المفهوم الفكري الإسلامي الجامع القائم على التوحيد الخالص والمتحرك في إطار الاخلاق الإسلامية بعيداً عن العرى والكشف والإباحية .

تاسعاً : أننا نقف من الفن الغربي موقف التحفظ لأنه يقوم أساساً على التحلل من الالتزام بالقيم والأعراف والضوابط والمقاصد الشرعية ويعطي للمبدأ الجمالي أولوية كاسحة على المبدأ الاخلاقي ولايقر الضوابط التي تحمي الإنسان من الانحراف وإذا كان للغرب فن فهو فن خاص به وليس فناً عالمياً مفروضاً وللمسلمين فنهم الأصيل المتميز الذي يستمدونه من عقيدتهم وقيمهم .

فأول ضابط شرعي لتحليل هذه الفنون هو تجنب الشرك بالله أو اعتزاز الإنسان بأنه قادر على الخلق كما يخلق الله تبارك وتعالى ويجب أن يكون المسلم مقدراً لقوله تبارك وتعالى .

﴿ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴾ .

فالإنسان أعجز من أن يحاكي الطبيعة أو خلق الله تبارك وتعالى تحت عنوان نظرية (المحاكاة) المضللة التي قدمها أرسطو .

عاشراً : أن أهم الضوابط الشرعية للتحليل والتحريم في الفن هي:

(أولاً) : تجنب الشرك بالله تبارك وتعالى .

(ثانياً) : تجنب إفساد الأخلاق (فيما يتعلق بالموسيقى والغناء ومايصاحبهما من ميوعه وتحلل) .

(ثالثاً) : إضاعة الوقت والغفلة عن الواجبات .

(رابعاً) : التحرر والتحلل من الالتزام بالقيم والأعراف والضوابط والمقاصد الشرعية .

وفي هذا الصدد ننظر إلى التأصيل الإسلامي لمفهوم الجمال والجمالية فلا ريب أن التوافق الإنساني مع الكون والنواميس فضلاً عن كونها واحدة من أكبر المبادئ في التصور الإسلامي خصوصية وأهمية وهي ترتبط بالمسألة الجمالية ارتباطاً وثيقاً .

ولما كان الله تبارك وتعالى هو البدء والمنتهى وهو الظاهر والباطن وإليه وعلى تغاير الأحوال والمجريات يرجع الأمر كله ، فإن في هذا مايمنح الجمالية الإسلامية ساحة ليست كالساحات ومدى من الزمان والمكان ليس كالأمداد ، فالجمالية هي التوافق الذي يمنح النفس الإنسانية كل مايتجاوز به التغير والتشتت والتمزق والارتطام ويعيدها إلى سويتها المطلوبة التى تتجاوز توازنها وفاعليتها والتئامها فقد جاء الإسلام لكي يعيد الوفاق إلى العالم ، وإلى الإنسان لكي يحقق السوية الموزونة للوجود الكبير بقطبيه : الإنسان والعالم ، وليس ثمة كالجمال وسيلة للتحقق بهذا الهدف العزيز والدين الحق يسعى من أجل التحقق بعالم جميل متوافق يسود التناسق والتناظر والوئام كل جزئياته ومساراته ومن هنا كان التدرج المرسوم من الجمال المادي إلى الجمال الحسي إلى الجمال العاطفي إلى الجمال الوجداني إلى العقلى إلى الروحى وهذا مايختلف تماماً مع الفكر الغربي القائم على الانشطارية بين الذات والموضوع والفرد والجماعة والروح والجسد والأرض والسماء والمحدود والمطلق والضرورة والحرية والنظام والمرونة والمنظور والغيب .

فالجمال والجمالية في الإسلام هو تحقيق الوفاق بين القطبين الإنسان والعالم ويبدأ بوفاق الفرد مع ذاته وتناغمه مع العالم والكون . فقد

جاء الإسلام ليوجد الثنائيات التي تعتز بها المذاهب والأديان وجاء ليلم شتاتها والقرآن الكريم آية الوفاق بين الشكل والمضمون .

كان أخطر ماأفسد مفهوم الفن في الغرب إصداره عن الفلسفة المادية وإنفصاله عن الدين وقيمه وإنزلاقه إلى المفهوم الإغريقي اليهودي فقد ربط الفكر اليهودي الجمال باللهفة والمتعة - كما وصفت المزامير ونشيد الإنشاد في العهد القديم ، وكان أخطر من ذلك فرض نظرية المحاكاة عليه ، ونظرية المحاكاة التي ترمى إلى محاكاة الفن للطبيعة في اندفاع خطير لإيجاد تصور من الفن البشري يحاول التفوق على صناعة الله تبارك وتعالى .

وأرسطو هو الذي جعل الفن تعبيراً عن جهد الإنسان لما يسمى (إكمال الطبيعة) بدعوى أن الطبيعة ناقصة وهذا هو المأزق الخطير الذي وقع فيه الفن في الغرب وهو المحظور الذي استطاع الفن الإسلامي تحاميه وعدم الوقوع فيه صدوراً من الإيمان بالله تبارك وتعالى أحسن الخالقين وعجز المخلوق عن مجاراة الطبيعة وليس التفوق عليها فإن ذلك من المستحيلات ..

ومازال قضية المحاكاة هي أخطر ماقدمته الفلسفة المادية وطرح في أفق الفكر الإسلامي ، وقد اتصل هذا بالتمثيل والمسرح والدراما فكل هذه الفروع تدور في دائرة خطيرة ولقد عجزت نظرية المحاكاة أن تحقق أي تقدم وعادت إلى نفسها خاسرة وقد ارتبطت نظرية المحاكاة في الفكر الغربي بنظرية التجسيم فهي مستمدة منها وهي محاولة لإقامة عالم وهمي في مواجهة عالم الواقع كما نرى في الدراما .

ولما كان الإسلام قد دفع البشرية إلى الخروج من عالم التجسيم إلى عالم التجريد القائم على الإيمان بالغيب وتصور عالم الروح وماوراء الطبيعة فقد كان لابد لنظرية الدراما أن تتراجع .

وقد قطع الإسلام خلال أربعة عشر قرناً مراحل واسعة في هذا الاتجاه فانشأ فناً قائماً على التجريد بعيداً عن رسم ماهو فان في حركة قائمة على التوحيد الخالص ، كذلك فقد رفض مفهوم المأساة القائمة على الصراع بين الآلهة والإنسان ، حيث لايقر الإسلام أي صراع مع الألوهية وإنما هو إسلام وإذعان وقبول لكل أمر الله وقدره وبذلك كله ينقل الإسلام الفنون وعوالم الفكر من الخيال والأسطورة وعوالم الوهم إلى عالم الحقيقة والإرتباط بخالق الكون الواحد الأحد الذي منه تبدأ الأمور وإليه تنتهي .

ولقد كانت وجهة الفن في الفكر الغربي المستمدة من الفكر الإغريقي ونظرية المحاكاة لأرسطو ، قد استخدمت في سبيل تشكيل مضامين سياسية واجتماعية في خدمة الأيدلوجيه الرأسمالية والماركسية مرة أخرى

ومن خلال هذه النظريات الوهمية بالإضافة إلى فكرة الخطيئة الأصلية ظهرت السريالية والوجودية والبنيوية والحداثة وكلها نظريات تقوم على التشاؤم والاغتراب والقلق والعبث وضياع الإنسان وانهيار القيم وظهور اللامعقول والانتماء وإفلاس المجتمع الإنساني وإحتقار الوجود البشري .

وهذه كلها مفاهيم لايقرها الإسلام الذي يعطي دفقه الثقة والسكينة والإيمان بالله والتفاؤل والإيمان بالمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي وإنكار كل عوامل العبث .

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون ﴾ .

ومن هنا فإن وجهه الفن على طريق الفلسفة المادية إنما تعود إلى إنهيار كامل للمجتمعات الإنسانية ولاتعود إلى قيم إنسانية رفيعة ومن المعقول أن يكون فساد الأوضاع الإجتماعية في الحضارة الغربية هو تصور هذا الإنهيار النفسي الشديد والتحلل الأخلاقي الخطير بحيث يحس أصحاب هذه الحضارة أن الحياة عبث وأنها عبث .

وهكذا نرى أن مفاهيم الفن في الفكر الغربي مستمدة أساساً من الأساطير اليونانية القديمة وأنها تحمل طابع الوثنية وتزيدها نظرية (الخطيئة) الأصلية التي تصاحب الفكر المسيحي الغربي ولاتنفك عنه ، هذا فضلاً عن ذلك الانفصام الشديد من مفهوم العلم التجريبي وبين عالم الأساطير وإلهات الأولب التي تجد لنفسها في جهل العالم مكاناً شاسعاً وهذا التناقض يبدو واضحاً في كل جوانب الحياة الغربية بين الأدب والعلم وبين العلم والفلسفة ، فهناك انشطارية خطيرة ، تحول دون قيام تطور جامع وذلك بخلاف الإسلام ، فالفنان المسلم يحس بضرورة الانسجام مع إيقاع الكون عن طريق الخضوع والاستسلام لله تبارك وتعالى .

لاريب أن الفن في المفهوم الغربي ، مثله كمثل كل المناهج يستمد قيمه وأصوله وحركته من الفلسفة المادية التي سيطرت منذ قرون على الفكر الغربي المسيحي المتصل بالعقيدة والدين فأحدثت ذلك الانفصام الخطير فيما أطلق عليه (التنوير) فكان التنوير بقيمه وحركه بمثابة الدخول في عالم الإلحاد وإنكار الألوهية وعوالم الغيب وإنكار البعث وتبعه إنكار المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي والجزاء الأخروي .

ومن هنا يتبين مدى خطورة خصوم الفن الإسلامي والفكرة الإسلامية لمنهج الدراما الغربي ، الذي لايقوم على أساس سليم بل على تفريط كامل في الحقيقة التاريخية من أجل الحبكة الفنية التي يضحي من أجلها بكل القيم والمقومات ونحن نتساءل في أوائل العقد الثاني من القرن الخامس عشر : لماذا لايظهر كتاب قصة مسلمون يتخذون أسلوباً فنياً جديداً يتفق مع مفهوم الإسلام وتختلف مع سموم فرضتها الدراما الوثنية .

الفصل الثاني عشر

إسلامية الأدب

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

أعتقد أن التصور الصحيح لإسلامية الأدب هو تحريره من التبعية والنفوذ الأجنبي الوافد ، والتماسه منهج القرآن في قصور الأداء والمضمون للأدب (ولانقول الابداع) من خلال عطاء النفس المؤمنة والوجدان الأصيل المؤمن بالله تبارك وتعالى الملتمس لرضوانه الراضي بقضائه والذي يسلم نفسه لله تبارك وتعالى إسلاماً كاملاً ، في سبيل الوصول إلى السكينة والأمن ورضاء النفس دون أن يؤثر ذلك في إرادة الإنسان وحريته في التصرف والتزامه الأخلاقي .

وهذا في اعتقادي هو التصور الأصيل لإسلامية الأدب ومن هنا فقد وجب أن يكون العمل الأول هو مواجهة أخطار التبعية للتصور الغربي الذي يصدر عن مضامين مختلفة تماماً عن المضامين الإسلامية لأنه يستمد وجوده من الفلسفة المادية أساساً التي تتنكر للألوهية والغيب والوحي وتقصر نفسها على المحسوس وتتحرك في دائرة ضيقة هي الانشطارية التي تتجاهل الجانب الآخر للإنسان : جانب الروح والمعنويات وتتنكر تماماً للالتزام الأخلاقي وتخوض في مستنقعات مريضة من النسبية والتطور المطلق والتنكر لثوابت القيم الأخلاقية وارتباطها بالعقيدة .

فالإسلام حيث يقيم منهج الثوابت والمتغيرات ويجعل حركة المتغيرات تجري في دائرة الثوابت ، نجد الغرب ينطلق من مفهوم التطور المطلق والنسبية وربط الأخلاق بالمجتمعات والعصور ، حيث يقدم الأخلاق في الإسلام مقررات أساسية لاتتغير على الزمان .

ومن هنا فالعمل الأول الذي يجب أن يسبق رسم التصور الإسلامي للنفس والحياة ، هو تصحيح مفاهيم الأدب الوافدة من الغرب والمسيطرة اليوم سيطرة فعلية على تصورات الأدب وفي مقدمتها : الكلاسيكية

والرومانتكية والواقعية الاشتراكية فهذه مذاهب قامت في الغرب في ظل تطورات مختلفة حيث ارتبطت الكلاسيكية بالأدب اليوناني والروماني بكل مايحمله من تعدد الآلهة والصراع القائم بينها من جهة وبينها وبين الإنسان من جهة أخرى وقد صورت الكلاسيكية من القواعد التي وضعها أرسطو للشعر وهذه القواعد في تصورها للحياة والكون يختلف عن تصورنا الإسلامي اختلافاً عميقا والكلاسيكيون يقصرون أعمالهم الأدبية على الجوانب المادية من حياة الإنسان ومايدور حولها من العواطف والمشاعر ، أما الجوانب الروحية ومافيها من تألق وصفاء فهي لاتحظى بشئ من اهتمامهم أما المفهوم الإسلامي للأدب فهو يعطي الحياة المادية والحياة الروحية معاً .

وكذلك الرومانتكية التي أخرجت الأدب الأوربي من الوثنية إلى تحرير الأدب من قيود العقل والواقع والانطلاق في رحاب الخيال المجنح وهذا يختلف أيضاً مع مفهوم الإسلام للأدب الذي هو أدب واقعي يجره جوادين اثنان لايستغنى بأحدهما عن الآخر وهما جواد العاطفة وجواد العقل ثم أن الرومانسية تدين بأن الغاية من الأدب المتعة أما المفهوم الإسلامي فلابد أن تتوافر فيه الفائدة العملية والمتعة النفسية معاً بحيث يكون نافعاً وممتعاً في وقت واحد .

والرومانتيكيون لايرون لاخلاقية الأدب ضرورة ولكن الإسلام يقرر سمو الاخلاق والترفع عن الدنايا كما أنهم يبالغون في شأن العقل أما الإسلام فيرى أن العقل مصباح نوره من الوحي .

وكذلك الأمر في الواقعية الأوربية والواقعية الاشتراكية والرمزية والسريانية وكافة المذاهب الجديدة كالحداثة والبنوية ، كل هذه مخالفة

للأصالة والفطرة والدين والعقل ، بل أنها إذا أردنا الحق إنما تهدف إلى تدمير القيم وتدمير الاخلاق والقيم والثوابت وهي تزدري القديم لأنه يرتبط بالدين فلنا منها موقف ، لقد قام الأدب اليوناني والروماني والغربي على أساس عبادة الجسد وتقديس الشهوة والإلحاد وهو أساس مختلف تماماً للتصور الإسلامي الذي قام على العفاف والأخلاق وإذا وضحت النظرة الإسلامية للأدب فإن الأمر يكون عملاً خطيراً فيتصل بعديد من القضايا اللغوية والترجمة ويتصل بالقصة والشعر وتقف موقفاً واضحاً من كتابة تاريخ الأدب والنقد ، والأدب الانشائي وهي في قيمها الأصيلة القرآنية تتعارض تماماً مع مذاهب الحداثة والبنيوية والعبث واللامعقول ويرى أن كل هذه المذاهب يتعارض مع الأصالة والفطرة وتختلف مع المسئولية الفردية والالتزام الاخلاقي وهي تمثل مرحلة خطيرة من مراحل تطور الأدب الغربي بعد إنفصاله عن الدين والأخلاق وتجاوزه لهما ، وذهابه في خصومه شديدة لكل مايتصل بالدين أو الأخلاق بل لانبالغ إذا قلنا أنها حرب على كل الثوابت التي أرساها الدين الحق سواء اللغة أو التراث ودعوة مندفعة اندفاعاً شديداً نحو التطور المطلق تحت اسم المستقبلية والتحديث دون ارتباط بالجذور والأسس مما يعرض النفس البشرية والمجتمعات والحضارة نفسها إلى ارتطام خطير .

أما القضايا التي يجب أن تحرر من التبعية فهي :

أولاً : القصة وأبرز أخطاء القصة المعربة هي فساد التصور للنفس الإنسانية ، وإقامة الفكرة دائماً على المؤامرة ، والاغتصاب ، وحرية الغريزة ، والاندفاع وراء الأهواء والتوسع في تصوير هذه الأوضاع وهذا يقوم على أساس فساد فهم العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة في مجالات الزواج والمعاشرة والصداقة والتعامل وغيرها .

ولاتمثل الصورة التي يقدمها هذا المفهوم النموذج الإسلامي أو الذي يعرفه المجتمع الإسلامي ، فهو غريب عنه غربة كاملة ، بكل مافيه من تجاوزات وقسوة وإباحية وانطلاق دون تقدير للضوابط أو الحدود القائمة بين الحلال والحرام وبين الزواج والبغاء ، وبين العفة والإباحة ، فالكاتب المسلم حين يصور النفس الإنسانية سواء في حالتي سلامتها أو عطبها ينفر من الاتجاه المنحرف ويدعو إلى تبريد العواطف ويتجاوز التفاصيل التي تجرح الحياء ، ويتعفف في التعامل والحوار .

ولكن الصور التي تقدمها الكتابات المعروضة اليوم كلها تستمد منهجها من التصور الغربي للقصة ، وللمجتمع ، وهي تسرف في محاولة القول بأن المجتمع الإسلامي فاسد ، اعتماداً على بعض الظواهر في بعض البنيات . وهكذا يكون الكاتب المسلم مختلف تماماً في تصوير النفس الإنسانية عن الكاتب الذي يستمد مفاهيمه من الآداب الغربية التي تتسم بظاهرة الإسراف في الفاحشة والكشف والإباحة وقد نشأ في بلادنا هذا الأدب الذي أطلق عليه أدب الفراش نتيجة التقليد والتبعية بالنقل والترجمة .

وإذا قيل أنه تصوير للنفس الإنسانية فأننا نقول أنها ليست النفس الإنسانية السوية المؤمنة التي يقررها المجتمع الإسلامي ، ولكنها النفس المنحرفة الداعية إلى نشر الإباحة وكشف العورات وأخطر مافي هذا التصور هو تلك الصورة غير الكريمة إلتي ترسم للمرأة المسلمة وكأنها تحت تأثير الفقر تبيع عرضها وتستسلم للرذيلة وهذا تصور لايوجد في مجتمعنا ولايمكن للمرأة التي تعرف ربها أن تبيع عرضها والمثل العربي يقول (تجوع الحرة ولاتأكل بثدييها) .

ثانياً : الشعر

أما الشعر فقد تجاوز كل الحدود حين اندفع تحت تأثير توجيهات بعض خصوم الإسلام أمثال لويس عوض ويوسف الخال إلى ماأطلق عليه (تحطيم عهود الشعر) واستخدام الرموز والاساطير التاريخية ، وقد تجاوزت النماذج التي قدمها الشعراء كل خيال في الإباحة والسخرية من القيم ، وقد بلغ تجاوز عدد منهم كل حد في السخرية بمفهوم الإسلام للإلوهية (صلاح عن الصبور ، سميح القاسم ، وغيرهم في شعر روئ وسخرية بالفة وإحتقار تام للغة العربية وقواعدها (ومنها إدخال ال التعريف على الفعل بصورة رمزية تهدر حرمة اللغة وقداستها .

ويطفح شعر سميح القاسم بالسخرية من الإسلام ويرى أنها طقوس همجية وأن الإله أسطورة كانت ثم بادت .

ويتمثل هذا الشعر الذي يسمونه الشعر الحديث أو الشعر الحر أو شعر التفعيلة في دعوة إلى العامية (تنكراً للفصحى لغة القرآن) كما يحمل طابع العلمانية في إنكار منهج الإسلام فضلاً عن الماركسية والإلحادية المسرفة حيث تستعمل في النظم مجموعة من الألفاظ والمصطلحات المتردية أمثال المضاجعة ، والحانات والشراب واللوطية في نبرات شديدة وإسفاف في الطرح .

وأخطر ماتحمله رياح السموم دعوى (الحداثة) التي يحمل لوائها (أدونيس) وهي من أخطر الدعوات التي ترمي إلى أحياء الفكر الباطني وهدم ثوابت اللغة والأدب ، والجري وراء لغة مهومه مسرفة في الرمز والاعتماد على الأسطورة بهدف تدمير النموذج الخاص بالبيان العربي الذي كونه القرآن والحديث النبوي .

ثالثاً : الترجمة

وقضية الترجمة من أخطر القضايا التي تواجه أسلمة الأدب فقد انحرفت الترجمة خلال العقود الأخيرة انحرافاً شديداً إلى ترجمة وثنيات الفكر الغربي سواء في مجال القصة أو الفلسفة أو الشعر على نحو خطير يحاول كتابه أن يغروا به الشباب المسلم ليهدموا فيه حصانة الإيمان بالله حيث ترجم كثير من الأسفار الأجنبية الإباحية والقصص الجنسية وكتب الفلسفة المادية التي تحاول أن تقنن الفساد ، وفي القرن الثاني الهجري استطاع المسلمون إحكام قبضتهم على الاختيار ، أما في العصر الحديث وفي ظل النفوذ الاجنبي فقد ترجمت كتب كثيرة تخالف التوجه الإسلامي مخالفة شديدة وتغرس بذوراً مسمومة في تربة العقل المسلم .

وقد تركت الترجمات بغير ضوابط فاختلطت المفاهيم وتضاربت العصور وأفسد ذلك الركام المختلط فساداً كبيراً وفتح الباب أمام الإلحاد والإباحية وظن الناس أن مايقرؤونه عن عصور مختلفة وعن أمم مختلفة يتطابق مع وجهتهم وتختلف مع وجهتنا وعقائدنا ، ومن هنا حدث خلط شديد كان له أثره في التصورات الأدبية والاجتماعية جميعاً .

فقد أخذنا نترجم مالسنا في حاجة إليه ونترك مايلزمنا ، ذلك لأن النفوذ الأجنبي فرض علينا ترجمة الفلسفات والإباحيات وحجب عنا ترجمة العلوم والتجارب التي تدفع الأمم إلى الأمام .

رابعاً : الفلكلور

وكان الفلكلور والأدب ومايسمى الأنثربولوجيا من السموم النافقات التي دفعنا النفوذ الأجنبي إلى إحيائها ، والتركيز على عصور ماقبل

الإسلام ، والبحث عن الأزجال والأمثال والمصطلحات التي عرفتها عصور الضعف والتي لاتمثل إلا طفولة البشرية والتي لاتفيد في إحيائها إلا أن تهدم الأمثال والحكم الإسلامية البليغة البيان التي ترتفع بالنفس الإنسانية إلى مستوى البيان القرآني والسنة النبوية ، ولقد جاء الشعر الإسلامي أصدق تعبيراً وأعمق أداء وأخلد على الزمن من المواويل الشعبية وهذه الأمثال الساذجة والتي تبين أن الدعوة إلى إحيائها قد ارتبطت بالنفوذ الإستعماري الغربي والوثنيات والأساطير والخرافات التي جاء الإسلام للقضاء عليها وكشف زيفها من كل مايتصل بتصورات مضللة وأمثلة ساذجة ولقد تكشف فساد نظرية تطور العائلة على أساس أن المرأة كانت مشاعة في عهد البشرية الأولى ، وفساد نظرية تطور الدين من الوثنية إلى التوحيد فقد جاء التوحيد مع أول مراحل الإنسان على الأرض .

خامساً : العاميات

وكانت العاميات هي أخطر مايحجب الرؤية الإسلامية للأدب فقد عمد النفوذ الأجنبي إلى الدعوة إليها وفرضها على الصحافة والمسرح والقصة والحوار الإذاعي وغيره حتى على حوار المدرسين في المدارس والجامعات ، وذلك في حرب خفية للعربية الفصحى لغة القرآن ، التي جرت محاولات التغريب للنيل منها وإبعادها في دعوته إلى الكتابة بالأسلوب العامي أو إنشاء مايسمى اللغة الوسطى التي تستمد من العامية وجودها وكل ذلك في سبيل إيجاد فجوة بين بيان الكتابة العربية في العصر الحديث وبين بيان القرآن الكريم وعلى أمل أن تتسع هذه الفجوة حتى تتوارى اللغة العربية الفصحى ، تلك اللغة الجامعة بين أجزاء الوطن العربي وتغليب اللهجات الإقليمية ، فضلاً عن خلق جو من الانفصال بين

البيـان الغربي المعـاصر وبين التراث المتمثل في القرآن والسنة وكتابات السلف في الفقة والعلوم والاجتماع والتربية .

وهكذا نرى أن أسلمة الأدب تتطلب مجهوداً واضحاً وعملاً واسعاً بحيث تقضي على كل هذه الثغرات التي يراد بها احتواء التصور الوجداني والنفسي والاجتماعي الإسلامي في مؤامرة خطيرة محبوكة الأطراف من أجل تغريب البيان والأداء العربيين الإسلاميين .

ولقد قامت نظريات النقد الأدبي المعاصر على نظريات غربية صورت الأنسان بصورة الحيوان وأخضعت مفاهيم الأدب لأربع تيارات خطيرة هي :

١ - نظرية التطور الداروينية ومايتصل بها من تطور مطلق يتصل بالمجتمع كله وأن الإنسان حيوان ناطق .

٢ - نظرية فرويد ومايتصل بها من تصور بأن الجنس وحده هو منطلق الرغبات الأنسانية .

٣ - نظرية ماركس ومايتصل بها من أن حركة الحياة تحكمها لقمة العيش .

٤ - الفلسفة المادية التي تقرر أنه لايوجد إلا المحسوس وحده وأن الغيبيات والنبوة والأخلاق غير معترف بها ، وقد أكدت الأبحاث والدراسات خلال العقود الخمسة الماضية فساد هذه النظريات الأربع وقدمت أبحاث علمية حقيقية تكشف عن عجز هذه النظريات عن الوصول إلى الحقيقة وأنها لم تكن علماً على الإطلاق وإنما كانت ولاتزال فروضاً عقلية ، خاصة بعد أن تغيرت الأصول العلمية التجريبية التي قامت عليها هذه النظريات .

وإزاء هذا فقد سقطت تماماً التصورات التي قدمها الغرب لمفهوم الأدب جملة وتفصيلاً مما يستدعى أن نعيد النظر مرة أخرى في المقومات الحقيقة التي يجب أن نستمدها من الفكر الإسلامي عامة ومن القرآن والسنة بصفة خاصة حيث نجد التصور الأصيل للنفس الإنسانية وللعلاقات بين الرجل والمرأة والآباء والأبناء وعن المسئولية الفردية والالتزام الاخلاقي اللذين يجب أن يصنعا حركة الحياة للمسلم في المجتمع وبالجملة فإن التصور الإسلامي للأدب يقوم على عدة قواعد أساسية :

١ - تأكيد الانتماء الإسلامي والالتزام الإسلامي ومسئولية القلم وأمانة الدعوة والتبليغ .

٢ - الارتقاء بالإنسان وتجاوز حالات ضعفه وعدم التركيز على نقائصه أو تحسينها .

٣ - إعادة الثقة إلى النفس الإنسانية في مغفرة الله تبارك وتعالى ورحمته وفتح صفحة جديدة من العمل الصالح .

٤ - التصدي للحركات الأدبية والمناهج الأدبية المنحرفة وإبراز مخاطرها وسيئاتها ومفاسدها .

٥ - توجيه المجتمع إلى الاستعلاء على الفاحشة والإباحية والعودة إلى الأصالة والمنابع والقيم الإسلامية العليا .